## إهداء

أهدي روايتي إلى نادية حبيبة قلبي ونور الفؤاد، الى روحي وإلهامي وسر وجودي

أهديها لك يا أمي

لقد بدأت هذه القصة وهى تعيش بجانبي وأنهيتها وهى روح في قلبي

سأحيا على أمل أن يجمعنا من فرقنا، ليرحمني من جحيم الفراق إلى نعيم اللقاء

أحبك أمي

صفاء إسماعيل

# مع من أحبُّ

( دراما حدثت في تسعينيات هذا القرن )

# المشهدُ الأوّل

**سوف أذهبُ الآنَ إلى الأستاذ يسري متولي المحامي؛ قالت (هدى) ذلك وهي تلبسُ حذاءَها قربَ بابِ الشُّقة.**

**تناهى إليها صوتُ ابنتِها ( هنا ) من داخلِ غرفةِ النّوم : هل أنت متأكدة من وجوده هذه المرة ؟؟؟**

**نعم، لقد اتّصلت به أمسُ وهو من حدّد لي الميعاد ؛ السابعة تماماً وإلا لن أجدَه.**
**ليته يصدق هذه المرّة وتأخذين ملفَّ القضيّة وننتهي منه نهائياً.**
**أتمنّى ذلك ؛ قالتها وهي تخرج من باب الشقة وتغلقه خلفها.**
**هدى كامل الصاوي: سيّدة حسنة المظهر، في العقد الخامس، شعرها قصير ومرجّل، قوامها نحيل، وجهها هادئ ينم عن أصلها الرّاقي، ملامحها الدّقيقة توحي بشخصيتها العاقلة الرّزينة، أنيقة الثياب، مظهرها العامّ يوحي بالاحترام والثّقة مع جاذبية محدودة تتناسب مع سنّها.**

**أمّا (هنا)؛ فهي فتاة في التّاسعة عشرَ من عمرها، ممشوقة القوام أطول من أمِّها ببضع أصابع، وجهها جذّاب ملامحها متناسقة، عيناها ساحرتان، طويلة الأهداب، ذات نظرة حالمة، وابتسامة رقيقة ساحرة، شعرها أسود طويل، يمتدُّ إلى أسفل ظهرها، وينسدل ناعماً على أكتافها، متوّجاً وجهها بهالة من نور لمعانه الرائع.**

**( هنا ) ابنةُ هدى الوحيدة؛ فقد مات والدها في ريعان شبابه، بعد زواجه من هدى ببضع سنين، لذلك كانت هدى تدللها وتحنو عليها كثيراً وتفرط في حمايتها؛ وربّما كان ذلك سبباً في تعلّق هنا بوالدتها كثيراً ؛ وهذا ما دفعها إلى اختيار كلية الآداب قسم لغة فرنسية تماماً كوالدتها.**

# المشهدُ الثُّاني

– رجب.....

نادى الأستاذُ يسري فرّاش مكتبه بصوتٍ مرتفع

– أريدك أن تذهبَ إلى الأستاذ حسين مندور وتعطيَه هذه الأوراق سريعاَ

وعندما أخذها الفرّاش واتجه نحوَ الباب نظر يسري إلى ساعة يده، ثم قال :

_ رجب..... أحضرْ لي فنجان قهوة أولاَ.

فأومأ الرجل برأسه موافقاً وخرج من باب الغرفة.

كانت غرفة المكتب تعبّر عن شخصيّة صاحبها، أمام الحائط المواجه لباب الغرفة لوحة عتيقة ضخمة تدلّ على ثرائه، والمكتب نفسه ضخم وقيّم يبدو أنه صناعة يدوية، يستحوذ على نصف الغرفة تقريباً، وعليه تحف

فنية صغيرة من الحجر والبرونز، وفي مقابله أريكة مريحة لا تتناسب مع أثاث المكاتب هي أشبه بتلك التي توجد في غرف المعيشة في المنازل العصرية، ولكنَّ وجودَها مبَّرر حيث ينام عليها يسري عندما يتأخر في عمله، فهو غير متزوج على الرّغم من أنّه في الخمسين من

عمره، وإن كانت هيئته ولياقته توحي بالشباب والقوة.

دقّ جرس الباب اتجه الفرّاش ليفتحه، فوجد هدى.

_ هل الأستاذ يسري موجود

_ نعم يا (فندم) موجود، تفضلي، وأشار لها بالدخول.

نظرت هدى الى بهو المكتب وهي تدخل متجهة إلى غرفة الأستاذ يسري

كان في البهو عدد من الكراسي المتراصّة بجانب حوائط المكان ومكتب صغير أنيق مخصّص لوكيل المحامي ولكنّه خالي كبقيّة

الكراسي

_أشارت هدى إلى البهو قائلة: ألم يأتِ أحد من الموكّلين اليوم

_لا، يا سيدتي اليوم يوم إجازة للمكتب ولكنّ الأستاذ عنده قضيّة يعمل عليها وهو موجود تفضلي وفتح لها بابَ غرفة المكتب

دقّت هدى على الباب وهي تدخل، بينما أغلقه الفرّاش وراءها.

ألقت السّلام على يسري الذي كان يقف في منتصف الغرفة ويحمل في يده (ملفاً)، وظهره إلى الباب فاستدار إليها باسماَ

ومدّ يده يسلم عليها مشيراً لها بالجلوس على كرسي قريب من المكتب

جلست حيث أشار، بينما توجه هو إلى باب الغرفة قائلاً :

_ ثانية واحدة، بعد إذنك.
فأومأت له بالموافقة فخرج وأغلق الباب خلفه.
ذهب إلى غرفة صغيرة حيث يقف الفرّاش أمام موقد صغير يعدّ القهوة، ففاجأه الأستاذ قائلاً:
_ أمازالت هنا؟
استدار الرّجل و قبل أن ينطقَ بكلمةٍ واحدة.
قال يسري بحزم: اذهب حالاً كما أمرتك، اتركْ لي القهوة سوف أكملُها بنفسي

أخذ الفرّاش الورق متجهاً نحو باب الخروج، فتبعه يسري إلى الباب وهو يقول:

_أخبرْ الأستاذ حسن أن يتّصل بي فور وصولك إليه أريد أن أحدّثه بخصوص هذا الورق لا تنسَ، ثم قال وهو على الباب الخارجي للمكتب والفرّاش يهبط على الدّرج:
_ اذهبْ اذهبْ بسرعة كلمح البصر.
فأجابه: لا تقلق يا أستاذ.
دخل يسري وأقفل الباب بالمفتاح ثم اتّجه إلى غرفته وأغلق الباب خلفه أيضاَ وابتسم قائلاً:
_ أعتذر على التأخير

_فبادرته هدى لا داعي للاعتذار فلن آخذَ من وقتك كثيراَ، أنا أريد ملفّ القضيّة
_لكنّي استعددت هذه المرّة جيّداً وسوف نكسبها بإذن الله، قالها وهو يقترب من المكتب حيث تجلس.
_قالت بحزم: لا داعي فقد قرّرت بيع الأرض ولا حاجة لي الآن إلى قضيّة.
_لا يوجد مشكلة يمكنك أن تبيعي الأرض وتأخذي حقّك من المستأجر، القانون لا يسقط حقّك في الإيجار القديم إذا لم تعودي تملكين الأرض
_قاطعته هدى: لقد بعت الأرض إلى المستأجر وأخذت حقي كاملاً ولقد ألغيت التوكيل وأريد ملفّ القضيّة، ووقفت في مكانها.
_ قال بلهجة رقيقة مستعطفة: لماذا تفعلين بي هذا؟
_ماذا تقصد !!!؟؟؟؟
_هدى إنّي أحبّك وأنت تعرفين ذلك جيداَ، قالها وهو يقترب منها.
_ تحرّكت سريعاً مبتعدةً عنه وهي تقول: قلت لك سابقاً أنّي لن أتزوّج بعد زوجي، ولن أحب سوى
ابنتي، فدعك من هذا الحديث وأعطني الملف.
_اتجه نحوها وأمسك بذراعيها قائلاً : إنّي أحبّك ولا أستطيع أن أكفّ عن ذلك ولا أستطيع أن

أدعَك تذهبين وتتركينني أبداً.
_أفلتت هدى منه قائلةً: هل جننت أو فقدت عقلك ؟
_ أقبل عليها: نعم، جننت منذ أن رأيتك ولا زلت بك مجنوناً.
اتجهت هدى نحو الباب مسرعة في غضب.
انقضّ يسري عليها، جاذباً إياها من يدها، فارتطمت بالمكتب.
_لن تخرجي من هنا، لقد أعددت كل شيء، هذه ساعتي التي حلمت بها، أنت لي ولو لليلةٍ واحدةٍ فقط.
فزعت هدى وشلّت الصّدمة تفكيرَها فرفعت صوتها طلباً للعون: النجدة.
_لا يوجد أحد سوانا هنا وحتى في العمارة كلِّها، كلُّ الشركات والمكاتب تأخذ اليوم إجازة، ما رأيك
في هذا؟! ضربة معلم، أليس كذلك؟
ظلّت هدى صامتةً تقلِّب عينيها في المكان وتحرّكت سريعاً نحو الباب فلحق بها وأمسك بذراعها، وهو يقول بحزم:
_ ألم أقل إنّك لن تخرجي من هنا.

حاولت أن تتخلّص منه ولكنّه كان ممسكاً بها بقوة كما لو أنّ يدَه صبت صبا على معصمها جذبت نفسها
جهة الباب فجذبها جهة الأريئكة وتركها لتسقط عليها فارتطم رأسها بظهر الأريكة وانقضّ عليها محاولاً النيل منها، سنحت لها فرصة لتفلت من يده فهرعت نحو الباب لكنه جذبها قبل أن تفتحه
فاصطدمت بأحد كراسي المكتب ونظر إليها يسري وابتسامة مخيفة تعلو وجهه، ارتعبت هدى ووقع
نظرها على تحفة حجرية على المكتب وعندما اقترب يسري واحتضنها بقوة
مالت قليلاً والتقطتها من المكتب وضربته على رأسه بعنف، فابتعد عنها قليلاً، ونظر إليها والابتسامة لا تزال تعلو وجهه، ومدّ يده إليها ليأخذها منها، فبادرته بضربة أخرى، فترنّح ولم يسقط، فضربته
الثالثة بقوة أكثر، فسقط على وجهه، رمت التّحفةَ من يدها واتجهت نحو الباب الخارجي والدموع تنهمر من عينيها فلا تكاد ترى
أمامها، فتحت الباب، فوجدت رجلاً أمامها، أمسكت بكتفيه وهي تسقط على الأرض قائلةً:
أدركني،
أدركني ثم فقدت الوعي.

**فتحت هدى عينيها على صوت يناديها:**

**_سيدة هدى، هل تسمعينني؟ من فضلك افتحي عينيك إن كنت تسمعينني؟**

**نعم، هذا أفضل؛ قالها الرجل وهو يحرّك أصبعه السبابة أمام عينيها وهي تتابع حركته،**
**_ كيف تشعرين الآن؟**
**_ أشعر..... أين أنا ؟ ماذا حدث ؟ أين (هنا) ؟**
**تراجع الرجل لتجد آخر يجلس على كرسي خلفه.**
**_هل أستطيع التحدث معها الآن أيها الطبيب ؟ تساءل الرجل الجالس.**
**_نعم، ولكنْ برفق فهي غير متزنة بعد.**
**_قال الرجل بسخرية : نعم، نعم، نحن نريدها هكذا، لتقول الحقيقة دون تفكير.**
**تحوّل الرجل الجالس أمامها بنظره إليها قائلاً: ممكن تحكي لنا ما الذي حدث بالضبط وبالتفصيل؟**
**أجالت النظر ثم توجهت بنظرها إليه قائلةً:**
**_من أنت وأين أنا وماذا تريد ؟ و ...**
**قاطعها الرجل: أنا سمير مصطفى وكيل أول نيابة حوادث وسط القاهرة، وأنت في المشفى وأريد أن**
**أعرف تفاصيل الجريمة.**
**_ جريمة! أي جريمة؟ تعجبت هدى دون أن تدري او تفكر.**
**س _ألم تذهبي إلى مكتب يسري متولي في يوم الأحد الموافق 5 يونيو**
**ج _أجل ذهبت، ولكنْ لا أذكر التاريخ**
**س _لماذا ضربتِ المدعو(يسري) على رأسه ضرباً أفضى إلى موته**
**تذكرت هدى عند تلك اللحظة كل ما حدث وبرق أمام عينيها فاندفعت قائلة:**
**_لقد ذهبت لكي آخذ ورق القضية ثم ... (وأسهبت في شرح ما جرى) وهربت طلباً للمساعدة.**
**_ضحك وكيل النيابة وقال بتهكم:**
**_ أي مساعدة يا سيدتي لقد قتلتِ الرجل.**
**صدمتها الكلمة، ورددت:**
**_ قتلته، أنا؟ ماذا تقول ؟؟؟**
**أنا لم أقصد قتله لقد أردت إبعاده عني فقط.**
**_إن كان ما تقولينه صحيحاً، ألم تكن تكفيه ضربة واحدة؟ ولكنك قمتِ بضربه مراراً وتكراراً، لماذا؟**
**_لم يقع من أول ضربة وكان يبتسم فبقيت أضربه لأني كنت خائفة جداً.**
**_نهض وكيل النيابة واقفاً وهو يقول:**
**_هل لديك أقوال أخرى؟**

**قالت هدى مدافعة عن نفسها: أنا لم اقصد قتله لقد أردت إبعاده فقط.**
**_قال الرجل في سخرية واضحة: نعم، نعم.**

**واتجه نحو الباب ومن خلفه رجل آخر كان يحمل أوراقاً يسجل عليها كلماتها، وأشار إلى رجل يلبس**
**زياً عسكرياً، ثم التفت إليها قائلاً: أنت تحت الحراسة وعندما تستردين عافيتك أراكِ في النيابة.**

**لم تدر هدى كيف مرّت هذه الأيام وتتابعت هذه الإجراءات سريعاً، لم يصدق أحد أنها بريئة ومظلومة بل و ضحيّة أيضاً، ولم يستمع لها أحد، لم يسمعوا لغير كلام النيابة:**
**_ لقد ذهبت يوم عطلة المكتب وفي ميعاد متأخر، ولم يكن (الفرّاش) موجوداً، وضربته أكثر من مرة**
**على رأسه، لو كانت صادقة لكانت مرة واحدة تكفي.**
**_ وتدّعي أنها لم تكن تعلم بأنه يوم عطلة، كيف وهي موكلة لديه منذ أكثر من عام، لقد خططت ودبرت جريمتها عن سابق إصرار، لولا عودة (الفرّاش) إلى المكتب ليأخذ محفظته التي نسيها**

**لكانت نجت بفعلتها.**
**أخذت تصرخ: لم أكن أعلم ميعاد الإجازة فأنا لم أذهب قط إلا بميعاد مسبق وهذه عادتي مع كل من**
**أعرفهم، وحتى أول مرة التقيت به، أخذت رقم هاتفه من صديقة لي، واتصلت به وحددت الميعاد.**
**ولماذا أقتله؟ ماذا أستفيد؟**
**تذكّرت هدى كلّ ذلك وهي في عربة الترحيلات متجهةً إلى سجن النساء، المكان الذي قضي عليها أن تمكث فيه سبعة أعوام من عمرها وربما لن تخرج منه أبداً، فكم بقي من عمرها لتبقى كل هذه**
**الأعوام في السجن.**
**انهمرت الدموع من عينيها وهي تفكر في ابنتها (هنا)، ماذا سيحدث لها وهي بمفردها في هذا العالم**
**الظالم؟ وهي الطفلة الرقيقة التي لم تفترق عن أمها أبداً من قبل، ولم تعتد مواجهة الحياة بمفردها.**

**أخذت تشعر هدى بالانهيار بعد أن أخذوا منها ملابسها وأعطوها ملابس السجن البيضاء، وشعرت بالمهانة**

**والذلّ وهي تقف في طابور طويل مع باقي المسجونات ليراهم آمر السجن وهو يتفحصهم ببصره واحدةً**

**تلو الأخرى.**

**وقف آمر السجن أمامها ونظر إليها بدهشة وسألها: ما اسمك؟**

**_قالت بهدوء وحزن عميق: هدى**
**_ ما تهمتك؟**
**_ ضرب أفضى الى موت**
**_ رد باندهاش: من؟ أنت !!؟؟ شيء لا يصدق.**
**_قالت بسخرية: مع الأسف الكل صدّق، لا أدري كيف؟ (هذه هي الحياة C' est ca la vie)**
**عندما تحدثت بالفرنسية زاد اندهاشه، تحرّك الى المشرفة وهمس شيئا في أذنها ثم غادر المكان.**
**وزّعت المشرفة السجينات الجدد على الزنازين ولكنها سرعان ما أخرجت هدى من الزنزانة واتجهت بها إلى مكتب المأمور مشت هدى معها دونما أي كلمة فقط قررت أن تتأقلم مع واقعها الجديد، لكي تستطيع أن تستمرّ في الحياة؛ فمهما حدث فإن ابنتها بحاجة إليها، تستطيع أن تساعدها**
**بإسداء النصيحة ولو من داخل السجن، هذا أفضل من أن تموت كمداً وتترك ابنتها دون مرشد أو معين على مواجهة هذه الحياة الجديدة.**
**أدخلتها المشرفة إلى مكتب المأمور وأدّت له التحية العسكرية وانصرفت.**
**وقفت هدى مطرقة الرأس ولم ترفع بصرها إليه، فأخذ ينظر إليها ويتفحصها جيداً ثم قال:**
**اجلسي.**
**رفعت عينيها فرأته يشير إلى أحد الكراسي الملاصقة للمكتب فجلست عليه في صمت واستسلام.**
**_ما هي قصتك؟ لم أقتنع أنك تستطيعين القتل أو حتى الضرب.**
**حكت له قصّتها بالتفاصيل والدموع .**
**_كلّ شيء يهون إلا ما يمكن أن يصيب ابنتي أو ما أصابها بالفعل جرّاء ما حدث، فليس لها أحد سواي في هذه الدنيا، وها أنا**
**أيضاً ابتعدت عنها وأصبحت تفصلنا القضبان والأسوار.**
**_ هذا ما توقعته، فلا هيئتك ولا كلامك يدلّ على أنك مجرمة، ولكنْ كما قيل (ياما في الحبس مظاليم) لا تحزني، ابنتك تستطيعين رؤيتها في مواعيد الزيارة الرسمية، ولكنْ نظراً لظروفك تستطيع أن تزورك غداً هنا في مكتبي وبصفة شخصيّة، ورفع سماعة**
**الهاتف، تفضلي: اتصلي بها وأخبريها بذلك.**

**شكرته هدى بلهفة وامتنان: أنت رجل طيّب القلب، وتناولت السماعة من يده واتصلت بابنتها وأخبرتها، وعندما وضعت**
**السماعة كان ينظر من خلف زجاج نافذة مكتبه فحوّل نظره إليها وسألها: ما اسم ابنتك؟**
**_ (هنا).**

# المشهد الثالث

**العميد توفيق كمال الزيني، مأمور السجن رجل في الأربعين من العمر، طويل القامة، عريض المنكبين مشدود الظهر، حادّ الملامح، عيناه سوداوان عميقتان، له طلة مهابة توحي بالقوة والحزم، وأحيانا بالقسوة**

**عضلاته مفتولة في غير إفراط، ذو شخصيّة قويّة وهادئة، يستطيع أن يخفي مشاعره؛ ولا يظهر أيّ تعبير**

**على وجهه متى أراد ذلك، لا يعرف أحد ممن حوله في العمل حقيقة طباعه او أفكاره، ولا يستطيع أحد أن**

**يتنبّأ بردود أفعاله ولا أسبابها؛ لذلك يخشاه الجميع، ويدير السجن بقبضة حديدية، لا يجرؤ أحد على مخالفة**

**أوامره مهما كانت.**

**كان يقف يوم الخميس جوار النافذة ينظر الى خارج أسوار السجن حيث وقفته المفضلة عندما يكون في مكتبه بمفرده، يتأمل الأشجار**

**والطيور وحركة الناس من يدخل ومن يخرج من العاملين في السجن والزوار وكان يستند بكتفه على طرف الشباك،**

**وفجأة اعتدل في وقفته عندما رأى فتاة شابة رشيقة أنيقة تمشي في الشارع، ثم تتجه إلى باب السجن ويسمح لها الحارس بالدخول**

**وتابعها بعينيه إلى أن دخلت المبنى وغابت عن ناظريه.**

**_ما هذا؟ (حدّث نفسه بغضب)**

**_كيف سمح لها هذا الحارس بالدخول في غير مواعيد الزيارة؟ ودونما أن يأخذ الإذن مني؟**

**_ إذاً لابد أن يعاقب.**

**_هل ظنّ أنني لن أعرف؟ أم ربما أنا نائم على أذني لا أدري ما يدور داخل سجني.**

**همّ برفع سمّاعة الهاتف ليطلب إحضار حارس البوابة هذا، عندما دُقّ بابه، واستأذن حارس الباب قائلاً:**

**_سيدي، هناك فتاة تقول إن سيادتك سمحت لها بالحضور لرؤية والدتها اليوم، وإن سيادتك ستقابلها الآن.**

**_نعم، أدخلها**

**تذكّر، هذه لابدّ ابنة السجينة الجديدة هدى، وأمسك بسماعة الهاتف ووضعها على أذنه، وشرع يطلب رقماً ما.**

**دخلت (هنا) وألقت السلام بصوت مرتعش بينما أُغلق الباب من خلفها، فاستدارت تنظر إلى الباب، ثم عادت**

**برأسها سريعاً جهة المأمور، فتطايرت بعض خصلات شعرها على وجهها، عندها رفع المأمور رأسه فرآها وصمت لحظة، وهو ينظر إليها في ذهول ثم وضع السماعة من يده، وابتسم طالباً منها الجلوس.**

**تقدّمت (هنا) بحذر إلى حيث أشار لها وجلست ولم تنطق، جلس هو الآخر على كرسيّه خلف مكتبه، وهو ينظر لها بإعجاب وعيناه**

**تلمعان، وراح يفكّر**

**هذه إذاً ابنة هدى، أنا من أمرت بإدخالها عندما تأتي، كيف نسيت ذلك؟ إذاً الحارس مظلوم ولم يخطئ**

**_ثم سألها باسماً: ما اسمك؟ يقولون إنّك ابنة السجينة هدى.**

**_تنهدت (هَنا) عندما قال: السجينة، ثم أجابته: (هَنا) اسمي (هَنا).**

**ما هذه الرقة ما هذا الجمال؟؟!! الروعة والفتنة، هذا ما فكّر فيه توفيق وهو ينظر إليها، ثم رفع سماعة الهاتف وطلب من المشرفة أن تحضر برفقة هدى إلى مكتبه وحدّد رقمها، وأخذ ينظر إلى (هنا) بإمعان، وراح يسألها: ماذا تدرس ؟وفى أيّ عام دراسي هي؟ وكيف حالها؟ ثم أخذ يواسيها ويطلب منها التجلد والشجاعة.**

**دقّ الباب دخلت المشرفة ومعها هدى، فرأت ابنتها، هتفت بلهفة: (هنا)**

**وبادرتها (هنا): أمي .....وهرعت إليها، وشرعتا في البكاء وهما يحتضنان بعضهما**

**البعض، تدخل صوت المأمور قائلاً:**

**_هذا لا يجوز، تفضلْن بالجلوس وحاولْن الهدوء قليلاً.**

**وأخذ غطاء رأسه(الباريه) واتجه نحو الباب وهو يقول:**

**_سوف أذهب جولة وأعود، وخرج.**

**عندما عاد بعد أكثر من ساعة، وجد (هنا) تنام في حضن أمّها، وهدى تمسح على شعرها في حنان، وتقول لها:**

**_ لا تحزني أنا بخير طالما أنت بخير.**

**لم يشعرن بدخوله عليهنّ، فوقف قليلاً يتأملهما.**

**كانتا تجلسان على كنبة صغيرة في جانب من جوانب الغرفة، وكانت هنا تلبس (جيب) يكشف عن ساقيها إلى تحت الركبة بقليل**

**و(بلوزة) بدون ذراعين وحذاء أنيق عالي الكعب**

**_ تحرك نحو المكتب قائلاً: أعتقد أن هذا يكفي.**

**_ انتبهن لوجوده، وقفت هدى بسرعة، فارتعبت (هنا) وانهمرت الدموع من عينيها وهي تمسك بيد أمها و**

**تنظر إليه مستعطفه إيّاه كي يبقي أمّها معها.**

**_ لكنّه تكلّم بحسم: اليوم ليس ميعاد الزيارة، وهذه مبادرة منّي، ولا يمكن أن تطول أكثر من ذلك، لابدّ أن**

**تذهبي الآن، وعودي في ميعاد الزيارة القادمة، وضغط على جرس، ففتح الباب، ودخل الحارس، طلب منه أن يرسلَ المشرفة.**

**خاطبته هدى بامتنان بالغ، وهي تربِت على يد ابنتها: نحن نشكرك بشدة ولن ننسى لك جميلك هذا ما حيينا ونحن نقّدر وضعك**

**ولن نزعجَك أكثر من ذلك.**

**عندها دخلت المشرفة، و طلب منها المأمور أن تأخذ هدى إلى زنزانتها.**

**صرخت (هنا): لا، وتعلّقت بأمّها، فاحتضنتها هدى وقالت:**

**_ اهدئي يا حبيبتي، سوف أراك يوم الزيارة، إنّه ليس ببعيد، لا تحزني.**

**وأفلتت من أحضان ابنتها، وذهبت مع المشرفة، بينما سقطت (هنا) على الكنبة باكية بصوت مسموع.**

**كان توفيق مديراً ظهره لها وينظر من النافذة متأثراً من الموقف، وبعد خروج هدى، وسماع صوت إغلاق**

**الباب، استدار واتجه حيث تجلس (هنا) ووقف أمامها وقال:**

**لا تخافي عليها سوف أرعاها بنفسي ولن يسيء إليها أحد، اطمئني واهدئي قليلاً.**

**زاد بكاء (هنا) وتشنّجت وأخذت ترتعش، فجلس جوارها، وأخذ يربِت على ظهرها، وهو متأثر بحالتها ولمعت عيناه بالدموع، وقال:**

**_ لا تحزني، سوف أسمح لك بزيارة والدتك في أيّ وقت تحبين، ولن تتقيدي بمواعيد الزيارة الرسميّة.**

**_توقفت (هنا) عن البكاء، وأدارت رأسها إليه قائلة: هل أنت جاد ؟**

**_ قال وهو يحاول أن يداري تأثّره: هذا بالطبع غير قانوني، ولكنّي سأسمح به من أجلك أنت. (قالها بعطف**

**وحنان شديد)**

**شعرت (هنا) بالاطمئنان ومسحت وجهها المبلل بالدموع ووقفت وشكرته، وقف هو الآخر:**

**_ فقط اطلبي من حارس البوابة لقائي وأنا سوف أعطيه الأمر ليدخلك لحظة وصولك.**

**ثم ضحك قائلاً: تأتي طبعاً في الصباح لا المساء أنا أغادر السجن في السادسة مساءً.**

**_ابتسمت (هنا) وخرجت وهي هادئة الفكر، فهي سوف ترى أمّها وقتما تشاء ورأت ان آمر السجن رجل**

**طيّب سوف يحسن إلى أمّها ويعتني بها، فتنهدت وهي تخطو خارج بوابة السجن الخارجية، وتمتمت:**

**الحمد لله، قدّر ولطف**

**وسمعت صوت صرير البوابة وهي تغلق من خلفها فارتعشت ثم أكملت طريقها، بينما كان توفيق ينظر عليها وهي تبتعد من خلف**

**نافذته.**

**مرّت الأيام سريعة وتتابعت زيارات (هنا) لوالدتها في مكتب (العميد توفيق)، وكانت أحياناً تأتي يومين متتابعين، ولم يعترض توفيق ولم**

**يبدِ أي ضيق، بل على العكس كان دائماً مرحباً بقدوم (هنا) وسعيداً بها، وجاءت**

**امتحانات نصف العام، وعندما أخبرته (هنا) أنّها قلقة من الامتحانات وأنّها معتادة على وجود أمّها بجانبها، سمح لها بالحضور كلّ يوم قبل الامتحان وبعده لتطمئن (هنا) وكذلك هدى.**

**وفي إجازة نصف العام كانت تحضر (هنا) كل يوم تقريباً، وتجلس كثيراً بل أحياناً كان يضيفها توفيق**

**ويصرّ عليها لتتناول الغداء معه، ولكن بالطبع بدون هدى، وذلك لكيلا تعترض باقي السجينات**

**لو لم تتناول هدى طعامها معهم ومثلهم، ولم تعترض (هنا) بل كانت سعيدة جداً بكرم المأمور معهنّ.**

**ومرّ عام سريعاً وجاء الصيف بحرارته وطول أيّامه وفراغه، لم تعتد (هنا) أن تقضي الصيف في البيت بل**

**كانت تسافر هي وأمها الي أيّ مصيف ليقضين معظم أيّام الصيف به، ولكنّ هذا الصيف مختلف سيقضينه**

**في السجن.**

**يا له من مصيف؟!**

**_هذه الفتاة رائعة الجمال بل وهذه الملابس تجعلها جذابة.**

**_يا ليتها تقصّر هذه (الجيب) أكثر أو لا تلبسها نهائياَ. وضحكا.**

**سمعت هدى هذا الحوار يدور بين حارسين واقفين في أحد الممرات وهي تتجه إلى غرفة المأمور وكانا يتحدثان عن ابنتها، فساءها الكلام كثيراً، وعندما قابلت (هنا) طلبت منها عندما تأتي إلى السّجن أن تلبس**

**(بنطلون وبلوزة) طويلة الذراعين، اندهشت (هنا) لطلب أمّها فهذه ملابسها التي اشترتها لها أمّها من قبل**

**وليست جديدة، ولكنّها وافقت أمّها دون أيّ سؤال.**

**بنَتْ هدى بعد عام كامل في السجن صداقات مع بعض المشرفات عليها وبعض السجينات معها، ولم يكن**

**لها أعداء بل جعلت كلّ من حولها يحبّها ويحترمها، وكان يُطلب منها أحياناً أن تتوسط لبعض السجينات**

**عند المأمور في شيء ما، وكانت توافق بتواضع، وتخاطب المأمور بطريقةٍ غير مباشرة فيما تريد لكيلا تثقل عليه بالطلب المباشر، وكان**

**يحقق بعض الطلبات ويغضّ الطرف عن بعضها، كأنه لم يفهم و كانت تعي**

**ذلك، فلا تعيد كلاماً سبق أن قالته وتجاهله.**

**في أحد الأيّام جاءت إحدى المشرفات، وقالت لهدى: سأخبرك بأمر على سبيل الصداقة والأخوّة**

**فلا تسيئي فهمي، ولا تغضبي.....**

**_ لا تدعي ابنتك تزورك في غير المواعيد الرسميّة وخاصة في مكتب المأمور.**

**_ تساءلت هدى بدهشة: لماذا !!؟؟؟**

**_ في الحقيقة جميع من بالسجن من العاملين و المسجونين يقولون: ما سر هذه المعاملة الخاصّة من**

**المأمور لك ولابنتك، ويتحدثون عن بقاء ابنتك ساعةً بعد زيارتك في المكتب مع المأمور و ...)**

**_ تساءلت هدى بتوتر بالغ: وماذا؟**

**_يقولون: تجلس بعد ذهاب أمها، وتأكل معه، وتأتي كل يوم لابدّ وأن في (الأمور أمور...)**

**_احمرّ وجه هدى وانزعجت واحتدّ صوتها قائلة: إنّ المأمور رجل طيب ومحترم، وابنتي ما هي إلا طفلة في العشرين**

**_ قاطعتها المشرفة: لا أريد إزعاجك، ولكن من الأفضل الابتعاد عن الشبهات، أليس كذلك؟**

**أنا أثق بك وبابنتك وأعلم أنّكم أناس محترمون.**

**_ أطرقت هدى وقالت: عندك حق سوف أخبرها عندما تأتي.**

**عندما جاءت (هنا) كالعادة للزيارة، وخرج المأمور من المكتب، طلبت منها هدى الحضور في المواعيد**

**المحددة للزيارة، وأخبرتها أنّها لابدّ أن تعتاد ذلك، وعندما تذمّرت (هنا)، حكت لها هدى كلّ ما قيل وسألتها: لماذا تمكثين بعد ذهابي في**

**المكتب ؟ وهل ظهر من المأمور ما تكرهين ؟**

**_أجابتها (هنا) باستنكار: إنّه رجل طيب لم يسئ إليّ بأيّ شكل، ولم يزعجني أبداً، بل هو لطيف جداً معي. وأجلس لأنّه يحادثني ويأنس بي، وليس من اللباقة أن نستغله فيما نريد، ونقضي حاجتنا، ثم أذهب وأتركه مباشرةً، لن يكون هذا رداً للجميل.**

**_ قالت هدى بحزم: نعم، ولكن هذا يكفي، سوف نعفيه من هذه الخدمات، ونعفي أنفسنا من كلام الناس.**

**_ أنا أخشى أن يتبعك أحد إلى البيت يا (هنا)، وهذا قراري النهائي لكي يطمئنّ قلبي.**

**_وافقت بخشوع: كما تريدين يا أمي، كلّ ما يهمني هو رضاك وراحتك.**

# المشهد الرابع

**جاء ميعاد وصول (هنا) ولم تظهر بعد، تُرى ماذا حدث؟**

**هذا ما فكّر فيه توفيق، وهو واقف أمام نافذة مكتبه كالعادة ينتظر وصول (هنا)، وأخذ قلقه يزداد مع مرور**

**الوقت وظلّ ينظر إلى ساعة يده كلّ برهة، وأخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ويتنهد وينفث، لقد مضى الوقت ولم تأت لقد اعتاد على**

**رؤيتها بل وأصبح ينتظرها ربما أكثر من والدتها نفسها.**

**حدّث نفسه، ماذا أفعل؟ هل أسأل أمّها عنها؟ ولكن ما الذي يمكن أن تعرفه هذه السجينة المسكينة؟ ربّما حالها**

**الآن أسوأ من حالي، تُرى ما الذي جرى؟ لمَ لم تأتِ؟ لابدّ وأنّها مريضة، نعم؛ فهي لا تتأخر أبداً عن زيارة والدتها، لابدّ أنها مريضة جداً،**

**لكنْ لم يبد عليها شيء في الزيارة السابقة، لقد كانت معي هُنا بالأمس، ولم تقلْ شيئاً.**

**أخذت تتلاعب به الأفكار والظنون طوال اليوم، وظلّ شارد الذهن، والقلق يعصف به، فأخذ يتخبّط بين**

**السكوت والانفعال، ولم يستطيع أحد أن يتكلّم معه هذا اليوم، وفي نهايته قرّر أنّه إذا لم تأتِ في الغد**

**فسوف يأخذ رقم هاتف بيتها من الملفّ، ويتصل بها ويسأل عنها.**

**لم يذق طعم النوم هذه الليلة، وذهب إلى السجن مبكراً، أحضر ملفّ هدى، ووضعه أمامه على المكتب، وبحث عن رقم الهاتف، وسجّله على قصاصة أمامه، وظلّ ينتظر ميعاد حضورها.**

**كان هذا اليوم هو اليوم الرسمي للزيارة، فتوافد الزوار على السجن في الميعاد، ودخلوا إلى مكان الزيارة**

**لمقابلة ذويهم، وكان المأمور في حالة سيئة جداً من الضيق، فلم ينظر إلى سجل الزيارات الموجود أمامه بل وقّع عليه بطريقة آلية دون**

**أن يدقق به، وكان يفكّر لحظتها:**

**تُرى هل أتصل الآن أم أنتظر لبعض الوقت ؟**

**ثمّ قرّر الانتظار، وترك مكتبه، ونزل إلى مكان الزيارة لكي يشغل عقله قليلاً وسط الناس حتى انتهاء ميعاد الزيارة، لتكون هذه آخر فرصة للانتظار، وسيتصل بها إذا لم تحضر، فهو يعلم أنّها عندما تأتي فسوف تذهب إلى مكتبه وسوف يخبره الحراس بحضورها.**

**شرع يتجول في المكان ويقلب نظره بين الزوار والسجينات، وعندما وقع بصره على وجه (هنا) أصابه الذهول، وشحب لون وجهه، وأغمض عينيه وفتحهما وهو لا يكاد يصدق عينيه، ما هذا!!!!**

**لماذا(هنا) هُنا ؟ لماذا لم تذهب إلى المكتب؟ ولماذا لم تحضر بالأمس؟ فهي تبدو في أحسن حال.**

**اتجه نحوها مسرعاً.**

**عندما لمحته (هنا) توتّرت جداً وظهر عليها الارتباك، وكان وجهها يقابل الاتجاه القادم منه، بينما تجلس هدى أمامها مديرةً له ظهرها،**

**فأخبرت أمّها بقدومه.**

**_ فقالت: دون أن تستدير اثبتي ولا تنظري إليه.**

**_فركت (هنا) يديها: يبدو غاضباً جداً.**

**عندها وصل توفيق حيث تجلسان، نظر إلى(هنا) ووجّه إليها الكلام، وسألها عن كل ما دار في فكره، فلم**

**تجبْ (هنا)**

**بل أجابت هدى قائلة:**

**_لا نريد أن نثقل عليك أكثر من هذا، ولا بدّ أن تعتاد (هنا) على الواقع، وسوف نتّبع القوانين من الآن فصاعداً.**

**_ وهل اكتشفتم فجأة أنّكم تثقلون عليّ ؟ (قالها بسخرية واضحة)**

**ثم استدرك بجديّة وحنق: أم أن هناك من قال ذلك أم ماذا؟**

**_أجابته هدى بهدوء ورزانة: لم يقل أحد شيئاً، ونحن نشكرك على جميلك، ولكن لا ينبغي أن نزيد عليك أكثر**

**من ذلك، فنحن لا نريد أن نتسبب لك بأي ضرر**

**_ضرر؟ ماذا تقصدين ؟**

**_هذه الزيارات غير قانونية وإذا جاء تفتيش على السجن...**

**_قاطعها بغضب: هذا عملي أنا، وأنا من أقدّر مصلحتي**

**ثمّ هل ظهر منّي ما يدلّ على عدم الارتياح لزيارتك ( قال ذلك وهو ينظر إلى هنا ).**

**_حاولت هدى أن تمتصّ غضبه: نحن لسنا بهذه الأنانية لكي ننتظر أن يحدث مكروه، ولن نستغلّ كرمك أكثر من ذلك.**

**اشتدّ غضب المأمور واحمرّ وجهه ولم ينطق ببنت شفة، فقد فهم المراد، ولم يرد الزيادة في الحديث لكيلا يفقد هيبته أمام السجينات فذهب إلى مكتبه.**

**عندما انتهت الزيارة وخرجت (هنا) طلب منها الحارس أن تذهب إلى مكتب المأمور، واصطحبها حتى الباب ولما دخلت أغلق الباب خلفها .**

**كان المأمور يقف جهة النافذة مديراً ظهره إلى الباب، فلم تستطع (هنا) رؤية وجهه فزاد ارتباكها ؛**

**فهي تشعر بالذنب ولا تدري لماذا؟ فوقفت مثل الطفل المذنب الذي ينتظر عقابه من ولي أمره.**

**سألها وهو على نفس الحال: ماذا حدث؟ هلّا تفسرين لي سرّ هذا التغيّر المفاجئ؟ هل أسأت لك أو لأمك في شيء؟**

**_بادرت (هنا) : لا لا، ولكن..... (وسكتت)**

**_أكملي: .....**

**_أمّي طلبت منّي ذلك في الزيارة السابقة.**

**_استدار في غضب ورفع صوته بحدّة: لماذا؟**

**_ ارتعبت (هنا) وتراجعت خطوة إلى الخلف ثم ثبتت:**

**_ أمي تقول: أننا أثقلنا عليك كثيراً وهذا يكفي.**

**قالت ذلك وقد قررت أن تترك مهمّة التفسيرلأمّها؛ فقد خافت أن تقول شيئاً يزيد غضبه، ولم تدر إن قالت الحقيقة ما يمكن أن يكون ردّ فعله.**

**_قال توفيق وهو يضغط على الكلمات بضيق: هناك – سبب – آخر ما هو؟ لابدّ أن أعرفه.**

**_ لا أعرف أيّ سبب آخر، لم تخبرني أمّي بسبب آخر، وأنا لم أسأل.**

**_ لم ت س أ لي!! لم تسألي!! أثارت الجملة غيظه فرددها وهو يعبر الغرفة اتجاهها ليقف أمامها مباشرةً الشرر يتقاذف من عينيه.**

**_فتراجعت (هنا) خطوة أخرى إلى الخلف وقالت ببراءة: لما أنت غاضب هكذا ؟**

**فلن يكون هناك استثناءات ولا مطالبة بالمثل. (قالتها وصوتها يتقطع من الخوف)**

**نزلت الكلمات على قلبه كالماء عندما ينسكب على النار يطفئها ولكنّه يتحوّل الي بخار يلسع ويكوي مثل النارأو أشد.**

**استدار إلى الخلف وعاد إلى مكتبه ووضع يديه عليه مديراً ظهره لها وقال:**

**_ ألن تأتي بعد ذلك إلا في مواعيد الزيارة الرسميّة فقط؟**

**_ترددت (هنا) ثواني: نعم.**

**ضغط على الجرس، انفتح الباب، التفتت (هنا) نحو الباب بقلق شديد، حيث كانت تقف أمامه على بعد خطوتين، ثم رجعت ببصرها على توفيق، ولكن لم ترَ إلا ظهره، وهو لم يستدر بل أعطى الحارس الأمر وهو في نفس الوضعيّة:**

**_ أوصل الآنسة إلى بوابة السجن.**

**حيّاه الحارس وخرج تمشي أمامه (هنا).**

**وعندما سمع توفيق صوت إغلاق الباب، جلس على الكرسي الذي بجواره في إعياء شديد، كمن كان في سباق للجري وقد استنفذ كلّ قواه.**

**في صباح اليوم التالي طلب هدى إلى مكتبه وأصرّ أن يحصل على تفسير لما حدث**

**_هذا أفضل لنا ولسيادتك لكيلا يكثر الكلام.**

**_ضاقت عيناه وتساءل: كلام، أيّ كلام ومن يتكلم ؟**

**_ردت بحذر: سيادتك تعلم أنه ليس كلّ الناس بأخلاقك الرفيعة وطيبة قلبك، هناك من يسيؤون الظنّ ويكثرون الحديث على غيرهم، فلماذا نعطيهم مادة للحديث والافتراء؟**

**_ قال بحنق: إنّ هذا الذي حدث منكم هو المادة للحديث.**

**_احتارت هدى: لم أفهم مقصد سيادتك.**

**_ردّ باندفاع وحدة: ألن يتشكك الجميع الآن في أخلاقي بعد هذا التصرف؟**

**ألن يتسألوا لماذا تبدّل الحال بهذه الطريقة المفاجئة؟ ألن يظنوا بي الظنون؟**

**_لا يا سيدي، أخلاقك لا يرتقي إليها الظنّ، وأن نلتزم بالقانون من تلقاء أنفسنا أفضل من أن نجبر عليه.**

**أدرك أنها هي من يتشكك فيه، فضغط على الجرس دون كلام، ودخلت المشرفة فأخذتها وجلس وحده وهو يغلي من الغضب.**

**عندما جاء ميعاد الزيارة في نهاية الأسبوع، كان عنده كأنّه دهر مضى، وكذلك كان الحال عند (هنا) وهدى على حدٍ سواء.**

**شعر خلال هذا الأسبوع كم يشتاق (لهنا) ويفتقدها، وشعر بالغيظ من هذا التصرف الذي يراه غاية في القسوة والإجحاف من قبل هدى و(هنا) المطيعة دائما لوالدتها، شعر بأن هدى غريمه وهادم سعادته وراحة باله.**

**فأصبح اليوم حانقاً عليها بعد أن كان سابقاً يشفق عليها.**

**دخل مكان الزيارة وهو متحفز، وأخذ يدور بين الطاولات التي تجلس عليها السجينات وذويهم، وهو يسلط نظره على (هنا) وهدى، شعر بالغيرة الحارقة من هدى؛ فهي تجلس معها وتحدثها وهو محروم من ذلك.**

**قامت (هنا) باحتضان أمّها وسط الحديث، فاقترب بسرعة وبحزم:**

**_ممنوع العناق.**

**فجلستا وهما ينظران إليه بعتاب، ولكنّه تجاهل نظراتهنّ ووقف غير بعيد يتابعهنّ ويحوّل نظره قليلاً لكيلا يلاحظ العاملون ذلك.**

**انتهت الزيارة سريعاً، وانتصبت (هنا) للرحيل، اعتدل هو الآخر في وقفته حيث كان يستند على أحد الحوائط بكتفه، وشعر بأنّ قلبه يكاد يخطف منه.**

**احتضنت (هنا) أمّها وهي تسلم عليها، فهبّ مسرعاً إليها، وبلهجة أمر قاسية :**

**_ ممنوع العناق .**

**فلم تترك (هنا) أمّها بل ظلّت تعانقها، فحاول جذب (هنا) بعيداً فزادت من تشبثها بعنق أمّها مقاومة له، فجذبها بشدة وتركها، فسقطت على الأرض، وانهمرت الدموع من عينيها، ونظرت إليه نظرة ملامة قاسية، وكانت**

**إحدى المشرفات تمسك بهدى لتمنعها من عناق ابنتها، فتركتها عندما رأت (هنا) على الأرض باكية فارتمت هدى بجوارها، وأخذت تحتضنها وتملس على شعرها:**

**_ لا تحزني، كلّ شيء سيكون على ما يرام.**

**ووقف جميع الحضور ينظرون إلى المأمور بملامة، فشعر بالحرج ولكن لم يظهره بل أمر الحرّاس بإخراج جميع الزوار، وترك المكان واتجه إلى مكتبه.**

**وأخذ يلوم نفسه ويؤنّبها وهو ينظر من خلف النافذة ليرى (هنا) وهي تخرج من بوابة السجن وتبتعد.**

**لماذا خرجت عن شعوري وطوق هيبتي وتصرّفت بهذه الرعونة ؟ لماذا فعلت ذلك بهذا الملاك (هنا) ؟**

**لا، هذا ليس من شيمي، لابدّ أن أضبط نفسي.**

**هذا ما ظلّ يردده في نفسه طوال اليوم ومع ذلك كانت تتسرب إلى أفكاره نوبات الغضب، كلما تذكّر أنّه لن يرى (هنا) على انفراد ولن يتكلم معها، وأخذ يتجاذبه الغضب تارة والندم تارة (إلى أن تملّكته فكرة واحدة). لابدّ أن يستعيد هيبته.**

**هنّ أردن القانون والنظام، فليكن كلُّ شيء قانونياً ونظامياً.**

**أمسك بالقلم وأخذ ورقة وكتب شيء عليها بسرعة، ووجهه تعلوه ملامح صارمة قاسية وضغط على الجرس وطلب المشرفة،عندما جاءت أعطاها الورقة قائلاً:**

**السجينة هدى كامل الصاوي خرقت لوائح السجن وتحدّت أمراً مباشراً منّي، هذا أمر بحبس انفرادي لمدّة أسبوع وحرمان من الزيارة، أخبريها إذا تكرّر هذا الفعل سوف تعاقب بالحبس الانفرادي المستمر.**

**تناولت المشرفة الورقة وأدت التحيّة وخرجت تعلو وجهها علامات التعجب ولكنّها لم تجرؤ أن تفتح فمها بكلمة واحدة.**

**نفّذت المشرفة الأمر وهي حزينة لأنّ هدى سجينة مريحة وهادئة كما أنّها ضعيفة البنية والحبس الانفرادي يؤذي الصحة.**

**أكثر ما تألّمت منه هدى هو منع الزيارة، فلم يزعجها الحبس الانفرادي على قدر ما أزعجها كيف ستكون حالة (هنا) عندما تعلم بمنع الزيارة، رجَت المشرفةَ أن تسمح لها برؤية المأمور أو أن تتوسط لها بالعفو عن منع الزيارة فقط ، حاولت المشرفة مساعدتها ولكنّه رفض.**

**عندما وصلت (هنا) إلى باب السجن، وعلمت بقرار المنع جنّ جنونها، طالبت برؤية المأمور، لكنّ الحارس كان عنده تعليمات بعدم السماح لها بالدخول، فشرعت في البكاء، وهي تدور حول أسوار السجن الخارجية**

**وتنظر إلى النوافذ سيّما نافذة مكتب المأمور، حيث كان يراها من خلف زجاج نافذته، وقلبه يعتصر لحزنها ولكنّ الغضب قسّى قلبه، فراح يردد محدثاً نفسه:**

**فليكن كلّ شيء بالقانون وسنرى من سيتعب أولاً ويطلب السماح.**

**ظلّت (هنا) تأتي إلى السجن كلّ يوم، وتطلب مقابلة المأمور، ويرفض الحراس، وتدور حول الأسوار باكية حتى مرّ أسبوع، وجاء ميعاد الزيارة، تصوّرت أنّ عقابه انتهى، وأنّها ستدخل لزيارة والدتها ولكنّها صدمت بالمنع، صرخت لماذا؟ أخبرها الحارس باختصار: لابدّ وأنّ السجينة قد خرقت إحدى لوائح السجن وعوقبت بمنع الزيارة.**

**طالبت بمقابلة المأمور، ورفض طلبها كالعادة، فأخذت في الدوران حول الأسوار، ثم تذكّرت أنّ توفيق يغادر السجن في السادسة، فقرّرت أن تجلس أمام البوابة حتى يخرج علّها أن توقفه وتتكلم معه، وفعلاً لاحظت**

**سيارة تغادر السجن بعد السادسة بقليل، توقّعت أنّه بها فهرعت نحوها ووقفت أمامها، فضغط السائق على مكابح السيارة بسرعة صدمها صدمة بسيطة لم تطرحها أرضاً فقط تألّمت، فُتح باب السيّارة وأنزل السائق**

**قدمه على الأرض، ولكنّه عاد وأغلق الباب ولم يتحرك، يبدو أنّه أخذ الأوامر بذلك، لاحظت (هنا) أنّ توفيق ليس من يقود السيارة، وأنّ هناك شبح لشخص هيئته تشبه توفيق في السيارة، رأته من خلال الزجاج الأمامي لأنّ باقي زجاج السيارة عاكس فلم ترَ من خلاله عندما نظرت إلى النوافذ الجانبية لكي تتكلم معه، وطرقت**

**على الزجاج فلم يفتح الزجاج المغلق بالكامل بل انطلقت السيارة بسرعة، صرخت أريد أن أتكلم معك اسمعني، ولكن ذهب صراخها هباء.**

**عادت إلى البيت في حالة يرثى لها وبعد ساعات من البكاء توصّلت إلى حل أن تبحث عن محامي ليساعدها نزلت في الصباح إلى المحكمة ووقفت أمام غرفة المحامين،**

**فهي لا تعرف غير المحكمة التي شهدت فيها إجراءات محاكمة والدتها، ولأنّ المحكمة هي من كلّفت محامياً للدفاع عن هدى حيث لم يكن معها محامي، وطلبت من (هنا) ألا تذهب إلى أيّ محامي لأنّ سبب كارثتها كان محامياً، فخافت على (هنا) ورضيت باقتراح القاضي عليها أن توكل لها المحكمة محامياً،**

**سألها أحد السعاة: ماذا تريد؟ أخبرته: أنها بحاجة لمحامي يساعدها في مشكلة لسجين، أطرق قليلاً ثم قال: إنّك تحتاجين لمحامي من المحامين المدافعين عن حقوق الإنسان، انتظري هنا.**

**وعاد ومعه رجل يلبس ثوب المحاماة، عرّفها الرجل بنفسه، وطلب منها انتظاره في أحد المقاهي المجاورة للمحكمة حتى ينتهي من عمله، ففعلت.**

**حضر المحامي وسمع منها المشكلة بالتفصيل، ظلّ المحامي صامتاً لفترة بعد أن انتهت (هنا) من الحكي، ثم تنهّد وقال:**

**_ لا أريد إزعاجك ولا إحباطك ولكنّ المشكلة صعبة جداً، هناك أناس في السجون لم يروا ذويهم لسنوات وهناك سجون الزيارة ممنوعة فيها تماماً، وهناك مساجين يعذبون داخل السجون، ومع كلّ ذلك لم نستطيع أن نفعل لهم شيئاً، حتى عندما نحصل على حكم من المحكمة بفتح الزيارة عادةً لا ينفّذ، هناك في اللوائح التنفيذية بداخل السجون نصوص مطّاطة وتُستغل أحياناً أسوأ استغلال**

**مثلاً (مادة 89 من قانون تنظيم السجون، تسمح لمدير السجن أو مأموره أن يأمر بتكبيل يدي المسجون بالحديد إذا وقع منه هياج أو تعد شديد) طبعاً وله تكملة (وعليه أن يرفع الأمر فوراً إلى المدير العام للسجون. ولا يجوز تكبيله لأكثر من 72 ساعة) ولكن طبعاً التنفيذ مختلف، مثل معظم القوانين في بلدنا عند التنفيذ تختلف.**

**يا بنتي، لقد كنت أنت وأمّك في نعمة كبيرة جداً، وكما سمعت منك أن مأمور السجن إنسان محترم ورحيم، نحن نتمنى أن يصبح كل مديري السجون مثله رحماء ينفّذون روح القانون.**

**_ قاطعته (هنا) لكنّه تغيّر وأصبح يستغلّ القانون ضدنا.**

**_يا (هنا) يا عزيزتي: إن الأمر دخل في حيّز الكرامة والتحدي والعناد وهذه أشياء خطيرة،**

**إن آمر السجن يرى أنّه أُهين وهذه طريقته لردّ اعتباره.**

**لا أبرر فعلته ولكن الحقيقة إنّك كنت تنعمين بامتيازات كبيرة لن تعود.**

**_ماذا تقصد؟ (تساءلت (هنا) بترقب)**

**_ لا تعتقدي أنّي أتهرّب منك، ولكنّي أوضّح لك الحقيقة، أستطيع أن أسلك الطرق القانونية لحلّ مشكلة الزيارة ولكنْ..... (وصمت)**

**_ توتّرت أعصاب (هنا) فاحتدت: ولكن ماذا؟**

**_ربّما الإجراءات تزيد من عناده ويتقصد مضايقة أمّك ولا أستطيع أن أعدك أن هذه الإجراءات ستنجح، مع**
**الأسف يستطيع أن يمنعك من الزيارة إلى مالا نهاية، إلى أن تخرج من عنده، وربما يستطيع أن يزيد فترة حبسها أيضاً.**

**_ قاطعته (هنا) صارخة: كيف؟**

**_لو اتهمت بحيازة ممنوعات مثلاً وحبكت القضية يمكن أن تأخذ أحكاماً أخرى تزيد من فترة السجن. بل ويستطيع أن يحبسك أنت شخصيّاً.**

**_ فزعت (هنا) وقالت: أنا.**

**_ نعم، (المادة 92 من قانون تنظيم السجون تقول: يعاقب بالحبس لمدة لا تزيد على ستة أشهر وغرامة لا تزيد عن ألف قرش أو إحدى هاتين العقوبتين كل شخص أدخل أو حاول أن يدخل إلى السجن شيئا خلاف القوانين واللوائح المنظمة للسجون، وكل شخص أدخل إلى السجن أو أخرج منه رسائل على خلاف النظام المقرر في السجن)**

**فاهمة يعني قطعة ورقة قد تؤدي لدخول السجن ستة أشهر.**

**_ وضعت (هنا) رأسها بين يديها: بمَ تنصحني؟ أنا لا أريد إلا أن أرى أمي باستمرار.**

**_ انظري، سأبحث في موضوعك عن طريق معارفي بداخل السجن، وأتقصى عن وضع أمّك بالضبط،**

**وسأحاول حلّ الموضوع بشكل ودي، انتظري أسبوعاً او اثنين وسوف أخبرك بالنتيجة.**

**_تنهّدت (هنا): أسبوعين أنا لا أستطيع تحمّل يومين.**

**_(هنا) أنت مثل ابنتي وأنا أنصحك حقيقة: احذري من أيّ عمل متهور، لا تحاولي عمل أيّ شيء قد يزيد الأمور تعقيداً، نحن هدفنا تيسير الأمور حتى تنتهي المدة على خير، لا نريد أن ندخل في صراعات لا طائل من ورائها، وأنت وأمّك لن تتحملوا عواقبها، مفهوم يا (هنا)**

**_ حركت رأسها بالموافقة**

**أعطاها المحامي رقمه للاتصال به، وتركها وذهب بينما ظلّت هي لساعة لا تستطيع أن تتحرك من مكانها من شدة الخوف.**

**على الرغم من أنها وافقت المحامي رأيه، لكنّها ظلّت تذهب كلّ صباح إلى السجن، وتطلب الدخول**

**ويرفض طلبها، وتدور حول الأسوار، وتعاود في المساء الاتصال بالمحامي، لكنّها لم تحاول أن توقف سيارة المأمور مرّة أخرى، وبعد عشرة أيام.**

**كلّمها المحامي وقابلته في نفس المكان الذي قابلته فيه المرّة السابقة.**

**_ أخبرها المحامي حزيناً: أنا آسف يا (هنا) لم أستطيع أن أفعل شيئاً، الرجل حسن السمعة وله وضع قوي في الوزارة، ولا يتقبل الوساطة من أحد في العموم، ولكنّ الجميع أكّد لي أنّه عطوف، ومن يطلب منه شيئاً لنفسه يساعده.**

**لذلك أنصحك أن تقابليه وتتفاهمي معه وتحاولي أن ترضيه وتعتذري له.**

**(هنا) إنّ كلّ شيء في يد آمر السجن، (إنّ هذا السجن أشبه بمدينة صغيرة لها أسوار ولها ملِك هو الآمر الناهي فيها، هو توفيق) لذلك هو يستطيع وبشكل قانوني أن يمنعك من زيارة والدتك طوال مدة السجن**

**_انهارت (هنا): لن أراها طوال مدة السجن؟**

**___حاولي أن تتكلمي معه.**

**_ قالت باكية: كيف ؟ إنّه يرفض مقابلتي.**

**_ قال المحامي بتفاؤل: حدثيه على الهاتف لقد أحضرت لك رقم هاتف مكتبه المباشر ورقم منزله أيضاً، اتصلي به، وربّنا معكِ، أعطاها ورقة الأرقام وسلّم عليها وربَت على كتفها، وغادر.**

**لم تنتظر (هنا) أن تغير ملابسها، فور دخولها من باب البيت أمسكت سماعة الهاتف، واتصلت بأوّل رقم لم يجب أحد، اتصلت بالثاني ردّ عليها مباشرةً، انعقد لسانها لبرهة، ولكن قاومت الخوف عندما وقع بصرها على صورة والدتها على الحائط، قالت بصوت خافت:**

**_أنا (هنا)**

**لم يردّ، فقالت مسرعة :**

**_لا تغلق الخط أرجوك، أريد أن أتكلّم معك.**

**_ ردّ بجفاء: ماذا تريدين؟**

**_ أريد أن أراك، أرجوك لابدّ أن أراك.**

**لم يرد وأغلق الخطّ، سالت الدموع من عينيها وأعادت الاتصال فلم يرد، وبعد عدّة محاولات، ردّ عليها الحارس وأخبرها أنّه غادر المكتب، فوقعت السماعة من يدها وانهارت باكية.**

**أخذت تكرّر المحاولة كلّ يوم وهو يغلق الخطّ ولا يجيب، حتى جاء ميعاد الزيارة فذهبت فلم يسمح لها بالدخول، فسألت : هل أمّها في الحبس الانفرادي، أخبروها: لا، لكنّها معاقبة بالمنع من الزيارة لعدم التزامها بالقوانين.**

**علمت أنّه سيحرمها رؤية أمّها لباقي المدة، وسيصطنع كل مرة شيئاً لمنعها.**

**لم تبكِ هذه المرة ولم تنظرْ إلى النافذة، ولم تدرْ حول السور، وفي المساء اتصلت به في المنزل،**

**وعندما قال: (ماذا تريدين).**

**ردّت: ما الذي تريده أنت؟**

**صمت ولم يردّ عليها،**

**فقالت: كل ما تريده أنت.**

**سألها : أين أنت الآن؟ أجابته : في البيت، قال : سوف آتي إليك الآن، ووضع السمّاعة، اضطربت ووضعت السمّاعة هي الأخرى دون أن تشعر، وظلّت جالسة في مكانها شاردة وغير مدركة للوقت لم يجذبها من شرودها إلا صوت جرس الباب، فرفعت سمّاعة الهاتف تلقائياً ثمّ أدركت، أنّه الباب، فذهبت لتفتح دون وعي كمن وقع عليه السحر، عندما شاهدته أمام الباب برقت عيناها.**

**نظر إليها نظرة ذات معنى لم تفهمها، سألها بهدوء:**

**_ أأدخل ؟**

**أفسحت له المجال للدخول، جلس على أقرب كرسي فصار ظهره لها، وكانت لا تزال ممسكة بمقبض الباب وواقفة في ذهول.**

**_ألن تغلقي الباب وتجلسي؟**

**عندها أفاقت وأغلقت الباب بسرعة، ووقفت أمامه فأشار لها بالجلوس على الأريكة المجاورة للكرسي حيث يجلس، فجلست وهي تنظر إليه بإمعان محاولة فهم تعبيرات وجهه، هل هو غاضب أم هادئ.**

**نظر إليها بنظرة خبيثة وتعلو شفتيه ابتسامة باهتة:**

**_ ماذا تريدين؟**

**_فوقفت: ماذا تريد أن تشرب أولاً.**

**_ردّ ببساطة: أي شيء عندك.**

**ذهبت وعادت بكأس عصير وضعته أمامه، فتناول الكأس وقرّبه من فمه ثمّ أبعده:**

**_ هل وضعتِ لي السم.**

**_صدمتها الكلمة، مدّت يدها وأخذت الكأس منه ووضعته على فمها لتشرب منه ولكن قبل أن تتناول منه شيئاً، مدّ يده وأخذه وتناول نصف ما فيه ثم وضعه ضاحكاً وقال:**

**_ حتى لو كان فيه سم فسيصبح ترياقاً من يدك.**

**دهشت ولم تفهم تصرّفه**

**_ قال بسخرية: أرهقتني اتصالاتك طوال الأسبوع و محاولة رؤيتي والتكلم معي إذاً لماذا أنت صامتة؟**

**ماذا تريدين الآن؟**

**_أريد رؤية أمي كما كنت أراها.**

**_ قاطعها في حدة: أنتِ وأمك من اختار.**

**_ قالت بلهفة: لقد اخطأت أرجوك سامحني.**

**_حرّك رأسه باستنكار: هكذا بكلّ بساطة.**

**_ قالت باستسلام: كل ما يرضيك أفعله، ماذا تريدُني أن افعل؟ إنّي موافقة على كلّ شيء، على أيّ شيء، فقط أعد إليّ أمي.**

**انتفض واقفاً، واتجه نحو الباب، ووقف مديراً لها ظهره، وتمتم بصوت مكتوم حانق لم تسمعه (أمي، أمي)،**

**فأسرعت خلفه وأمسكت يده:**

**_لا تذهبْ، فقط أخبرني ماذا تريد؟ ما الذي يرضيك؟**

**فاستدار فجأة وأمسك بكتفيها بعنف وعيناه تلمعان ووجهه يعلوه الغضب:**

**_ أريدك أنت، أريدك لي، أريدك الآن، ما ردّك؟**

**صدمت من تصرّفه، كانت تظنّ أنّه سوف يطالبها بالاعتذار أمام الناس أو يضربها، لم تتوقع هذا الطلب، ولا هذا التصرف.**

**(يا لها من طفلة في العشرين )**

**لم تدرِ ماذا تفعل؟ ماذا تقول؟ صمتت وصرفت بصرها عن وجهه فوقعت عيناها على المرآة المقابلة للباب ولكنّها لم ترَ انعكاساً لصورتها بل رأت صورة والدتها المنعكسة من الصورة المعلقة على الحائط، عندها سمعت صوته يقول: (ما ردّك؟) وهو يهزّها بقوة.**

**_موافقة. (قالتها وهي تنظر في عينيه بثقة وعناد).**

**أصابه الذهول فتركها من يده وأدار لها ظهره وقال في نبرة تحدي:**

**_ الآن.**

**_جاوبت بنفس العناد: موافقة.**

**_ استدار إليها وبغضب: لن أتزوجك.**

**_ أغمضت عينيها وبرضوخ: كما تريد.**

**احمرّ وجهه من شدة الغيظ والغضب، وامسك برأسها بين يديه وانهال على وجهها ورقبتها يقبّلها بعنف، فلم تقاومه، فحملها ودخل بها إلى غرفة النوم (كانت مفتوحة ومضائة) وضعها على السرير، عندها فتحت**

**عينيها، أبصرته يفكّ رباط العنق ويخلع سترة بذلته ويفك أزرار قميصه، فأغمضت عينيها، وشعرت به يسقط جوارها على السرير وينهال عليها بالقبلات كبركان ثائر، كانت القبلات تلسعها كمن يكوى بالنار، وأخذت تنهمر الدموع من عينيها كالسيل ولم تعد تسيطر على جسدها، وشعرت بيده وهي تخلع حمّالة الصدر التي تلبسها، فتحرّكت يدها تلقائياً وأمسكت يده محاولةً منعه، فدفع يدها بعيداً، ولحظتها وقع نظره على وجهها، فرآه مصفراً والدموع تغطيه، وشاهدها تضغط على عينيها وشفتيها كمن يكابد ليمنع نفسه من الصراخ، فلمس خدها بأطراف أصابعه، فحرّكت رأسها بعيداً بعنف كمن يبتعد عن شيء ينغصه ويؤلمه، فرفع رأسه، وأشاح بنظره عنها، فرأى نفسه في مرآة بجوار السرير، فأرعبه منظره، رأى وجهه يشتعل من الحمرة وعيناه يتطاير منهما الشرر مثل حيوان ضاري يهجم على فريسته، ونظر إليها ثانية فرآها مثل الفريسة المقيّدة التي تمزّق بأنياب ذئب، وهي تحاول تحمّل الألم دون حتى أن تصرخ، هبّ واقفاً وجمع ملابسه وخرج من الغرفة واتّجه نحو الباب، ثم تريّث ليلبس ثيابه، وهو يفكر.... ما هذا ؟؟ كيف أصبحتُ بهذه الحيوانية ؟ كيف أستغلّ هذه الإنسانة البريئة ؟ وكيف سوّلت لي نفسي إيذاءها بهذه الصورة البشعة؟ ماذا فعلت لي؟**

**حقاً كان لأمها كل الحق في أن تخشى عليها مني، نظر إلى نفسه في المرآة المقابلة للباب نظرة احتقار،**

**وقال (بصوت مسموع):**

**_ من أنت ؟ لست أنا ؟**

**واستدار، وأمسك مقبض الباب، وفتحه، فشعر بيد تمسك يده، وتغلق الباب بسرعة، ووقفت (هنا)مسندة ظهرها إلى الباب، وقالت بلهفة:**

**_ لا تذهب؟ لا تغضب مني أرجوك؟ ارجع لن أضايقك.**

**نظر إليها في تعجّب.**

**_أتوسل إليك: لا تذهب وتحرمني أمّي، سأفعل كلّ ما تريد، ورفعت يديها ومسحت وجهها بالكامل من الدموع، وعادت تمسك يده.**

**حاول إزاحتها عن الباب والخروج، لكنّها تشبثت به وهي تبكي وتتوسل**

**_سوف أموت لو حرمتني من أمّي، أرجوك لا تذهب.**

**_ ابتعد عن الباب مديراً لها ظهره: دعيني أذهب، لا أريد منك شيئاً.**

**اقتربت منه مسرعة وأخذت تجذبه من ذراعه نحو الغرفة:**

**_ أخبرني ما الذي أزعجك منّي ولن أفعله،**

**دفع يدها وفكّر (عجباً الضحية ترجو المجرم كي يقتلها!)، فعادت وأمسكت ذراعه وهي تبكي وتتوسل.**

**_ صرخ فيها: لماذا لا تفهمين؟ لا أريد منك شيئاً.**

**أمسك بكتفيها وقال بجدية: اسمعيني جيداً، إنّي أعدك بأن أخرج أمّك من السجن، وسوف أعيدها إليك، ومن اليوم لن تقضي في السجن ليلة أخرى**

**_قالت بانبهار: كيف؟**

**_ تركها واتجه نحو الباب: لا شأن لك بهذا، المهم أنّي وعدتك، وعندما أعد بشيء أنفذه، انتهى.**

**_ جرت وراءه وأمسكت ذراعه واحتضنته: إن حدث ذلك فلن أنسى لك معروفك ما حييت، ولن أتأخر عنك في أيّ طلب.**

**أشعرته بمدى سفالته ودناءته، وكم هو حقير في نظرها، وهي تعده مقابل مساعدته لها ولأمّها، أحسّ وكأنّه تاجر رقيق يقايضها على حياتها في مقابل حياة أمّها**

**(يا لها من وضاعة)**

**شعر بالغيظ من نفسه، فدفعها بعيداً عنه بعنف، ففزعت وتقلّصت ملامح وجهها، فجسّ شعرها برقة:**

**_لا تخافي، أنا آسف، فقط اتصلي بي غداً، وسوف أخبرك متى وأين يمكنك رؤية أمّك، وفتح باب البيت وخرج سريعاً كمن يهرب من بيت يتداعى فوق رأسه.**

**جلست (هنا) مندهشة مضطربة: هل حقاً ما قال؟ هل يستطيع فعل ذلك؟ ماذا حدث؟**

**لم تفهم شيئاً، لكنّها انبرت في البكاء وهي تردد: يا رب، يا رب.**

**ذهب من عندها إلى السجن مباشرةً ودخل على الطبيب المقيم بالسجن فوجده نائماً، أيقظه بحدة قائلاً:**

**_أنت نائم أثناء العمل.**

**تفاجأ الرجل فاعتذر.**

**_باغته قائلاً: هناك سجينة مريضة، اكتب لها تحويلاً إلى المشفى الآن.**

**_ تعجّب الطبيب من لهجته وكلامه وتساءل: من؟**

**_ أجابه بجدية: هدى كامل الصاوي.**

**_لم تأت لتشتكي، ولم يبلغ أحد عن حالة مرضيّة في أيّ عنبر.**

**_ احتدّ عليه المأمور: لأنّك نائم ولا تراعي عملك، ويكفي كلامي أليس كذلك؟**

**_أجابه بلهفة: نعم نعم،**

**وتناول قلماً وكتب التحويل، وتعجّب عندما أخذه المأمور بنفسه وخرج من المكتب، ظلّ الطبيب واقفاً في اندهاش لفترة ثمّ جلس ولم يذهب ليرى السجينة ولم يتحرك من مكتبه.**

**وصلت الإسعاف، ونقلت هدى إلى المشفى، وسبقها المأمور إليها، ورتّب بنفسه إجراءات دخولها وبقائها في أفضل غرفة، ووصّى من حولها لتنال أحسن رعاية طبية، واتصل بمدير المشفى وأوكله شخصياً العناية بها،**

**وفي اليوم التالي ذهب إلى محامي شهير، يعرفه توفيق من كثرة الإفراجات الصحيّة التي يأتي بها للمساجين الأغنياء، واتفق معه على أن يدافع عن هدى، ويبدأ بالإجراءات القانونية اللازمة لنقل هدى إلى مشفى أفضل ويسعى في الحصول على إفراج صحي لها، وأخبره بخصوص الجزء الخاص بموافقة مأمور السجن:**

**اعتبره في جيبك، ولكن لا تستخدم اسمي في بقيّة الموافقات، واسعَ سعيك المعتاد، وأنا سأقدّر تعبك بكرم كبير.**

**ابتسم المحامي له قائلاً:**

**_ لا تقلق –يا سيدي –لا حاجة لي في استخدام اسمك، أنا أعرف كيف أحقق ما أريده لموكلي، فقط اترك لي ملف قضيتها، واعتمد عليّ، واعتبر الأمر منتهياً من الآن.**

**اتصل توفيق بـ(هنا) وأخبرها بمكان وجود هدى، وأكّد عليها أنّ أمّها بخير، ولكنّ المشفى مجرد وسيلة لكي يخرجها من السجن كما وعدها، وطمأنها بأن هذه مجرد طريقة لتوفير الراحة لها، ولكي تراها كلّ يوم كما اعتادت، وأخبرها أنّه وكّل محامياً ليأتيها بالعفو الصحي.**

**تابع توفيق مع المحامي حتى جاءها بالعفو الصحي، وهو يظنّ أنّ المحامي تلاعب بشكل أو بآخر بالتقارير الطبية لهدى، لكن ما لا يعلمه توفيق أنّ هدى مريضة حقاً، وقلبها ضعيف، والظروف السيئة داخل السجن من سوء التهوية والتغذية وضعف العناية الطبية، وتوترها المستمر، قد زادت من ضعفها، والأسبوع الذي قضته في الحبس الانفرادي أظهر مشاكلها الصحية بوضوح، ولكنّها لم تحاول أن تشتكي إلى طبيب السجن بسبب تدهور علاقتها مع المأمور.**

**أما (هنا) فقد علمت كلّ شيء في المشفى: عندما أخبرها الأخصائي أن هدى تعاني من مرض وهو القلب (myocarditisالتهاب في الطبقة الوسطى من (**

**ويسبب: ضيق النفس، ضعف عام، تغيّر في وتيرة ضربات القلب، وله مضاعفات خطيرة لذلك لابدّ من الاعتناء بصحة هدى جيداً من حيث التغذية الصحية والبعد عن الإجهاد البدني والنفسي، وتناول الأدوية بانتظام، والنوم جيداً والراحة، مع ممارسة رياضة بسيطة كالمشي.**

**سألت (هنا) عن سبب المرض، أخبرها الطبيب أنّه ربما نتيجة عدوى فيروسية أو بكتيرية تعرّضت لها هدى ولم تعالج جيداً، فأخذت تسأله: هل السجن هو السبب؟**

**أكّد أنها قد تصاب في أيّ مكان، هذا قدر، وهناك 45% من المرضى الذين يتمّ زراعة قلب لهم مصابون بالتهاب عضلة القلب، وغالباً ما كانوا شباباً أصحاءَ من قبل.**

**فسألته هل الحبس الانفرادي من الممكن أن يكون السبب؟ قال الطبيب لكي ينهي أسئلتها: ربما.**

**لكنّه لم يعرف ماذا صنعت كلمته البسيطة((ربّما)) في (هنا) فقد اقتنعت أنّ السجن والحبس الانفرادي بالذات هو سبب مرض هدى؛ أي أن توفيق هو السبب في مرضها، ولامته على ذلك في نفسها، ولكن لم تخبر أحداً بذلك ولا حتى أمها.**

**عندما ذهب توفيق إلى المحامي بعد خروج هدى بالعفو الصحي ليسدد له أجرة أتعابه، أبلغه المحامي : أن باستطاعته أن يستأنف لها ويحصل على حكم بالبراءة وتعويض أيضاً عن السجن، وأكّد أنّه لو كان يترافع عنها من البداية لما دخلت السجن لثانية واحدة، فكّر توفيق (لو لم تدخل السجن لما تعرفت على (هنا)) تنهّد:**

**_وهو كذلك ابدأ في عملك، ولكن لا داعي للتعويض المهم أن تبرئ اسمها وسمعتها.**

**مرّت أيام الاستئناف سريعاً كمحاكمتها الأولى، ولكن هذه المرة حصلت على حكم البراءة.**

**وخلال هذه المدة خرجت هدى من المشفى إلى بيتها، بعد أن تلقّت علاجاً مكثفاً وتحسنت صحتها كثيراً.**

**تعجّبت هدى بعد سماع الحكم، كيف يمكن أن يغيّر المحامي مصير إنسان.**

**_ وسألت: لماذا لم يستطع المحامي الذي عينته لي المحكمة الحصول على البراءة، ما الذي تغيّر؟**

**ضحك المحامي بملء فيه قائلاً:**

**_الشطارة في اختيار القانون المناسب والدفع بالحجة المناسبة، عندنا في مصر أسطول كبير من القوانين، كل ما يحتاجه المحامي الضليع هو استدعاء الجندي المناسب لمعركته وعندها يربح، وأنا أعرف دائماً ما أريده**

**وما أحتاجه لذلك أربح دائماً.**

**_ ضحكت (هنا) من قلبها، واحتضنت هدى، وقالت المهم أنّنا حصلنا على البراءة، (ياه) كأنّه كابوس، وانزاح عن كاهلي، الحمد لله.**

**لم يحضر توفيق المحاكمة بالطبع، ولكنّه علم الخبر وأغدق على المحامي في الأجرة، وذهب إلى هدى في**

**البيت بعد الحكم بأسبوع، وكان متأنقاً، ويحمل معه هدية وهنّأها بالحرية، وسألها عن صحتها، وطمأنته أنّها بخير حال، وشكرته على كلّ ما فعله من أجلها وأجل ابنتها.**

**عندها ارتبك توفيق حيث تذكّر ما فعله معها ومع ابنتها، سواء في السجن أو في البيت، وتردد قليلاً ثم قال:**

**_ أرجو أن تسامحيني على خطئي معكم.**

**_ أجابته بصدق: بل تسامحنا أنت على خطئنا في حقك وسوء ظننا بك، ولابدّ أن نشكرك على تعبك وتعاطفك معنا من بداية دخولي السجن إلي خروجي منه حرّة مرفوعة الرأس على يديك.**

**_ ابتسم توفيق وارتاح قليلاً وشرع في الحديث عن السبب الرئيسي للزيارة وقال بدون مقدمات: سيّدة هدى**

**أرجو أن تسمحي لي بالزواج من ابنتك.**

**_اندهشت هدى وصدمها طلبه، وقالت دون أن تفكّر وبتلقائية شديدة: من؟ (هنا)؟ تريد أن تتزوج (هنا)!**

**_ لا أريد أن أسمع منك رداً الآن، سوف أترك لك المجال للتفكير وأخذ رأي (هنا)، سوف أنتظر اتصالاً منك، أرجو أن لا تتأخرين عليّ في الرد (قالها وهو يقف).**

**عندها دخلت (هنا) تحمل صينية عليها أكواب إلى حيث يجلسون، وتعجبت من وقوفه وهي تضع ما في يدها على المنضدة أمام هدى، فمدّ لها يده مصافحاً، ثمّ اتجه نحو الباب وخرج مسرعاً،**

**جلست هنا أمام أمّها وسألتها:**

**_لماذا خرج مسرعاً هكذا؟؟!! كنت أسمعكم من الداخل تتحدثون.**

**_ وهل سمعت آخر ما قاله؟!**

**_ لم أسمع أيّ شيء ممّا قاله.**

**_ إنّه يطلب يدك للزواج (قالتها بانفعال وضيق شديد)**

**ولكنْ لم يظهر على (هنا) علامات الدهشة أو النفور بل ظلّت صامتة جامدة الملامح**

**_أنا موافقة يا أمّي (قالتها بهدوء تامّ أدهش هدى)**

**لم تدرِ هدى ماذا تقول، فقامت من مكانها، وذهبت للنوم دون أيّ تعليق على ردّ (هنا).**

**وفي صباح اليوم التالي حاولت مجادلتها حول قبول هذا الزواج، فأصرّت (هنا) على رأيها، وأنّها مقتنعة مئة بالمئة من قرارها ولا سبيل لتغييره، وطالبت أمّها إبلاغَه بالموافقة في أقرب وقت، فطلبت هدى منها التريّث حتى تنهي دراستها الجامعية؛ فمازال أمامها عام دراسي على التخرج، فوافقت (هنا) بعد إلحاح من هدى وقالت:**

**_وهو كذلك، أخبريه أنّي موافقة، ثم سليه الانتظار حتى التخرج إن وافق فليكن، أما إذا لم يوافق فسوف أتزوجه الآن.**

**تعجبت هدى كثيراً من(هنا) وموقفها، وظلّت تفكّر تُرى، ما الذي حدث لطفلتي الوحيدة؟! هل حقاً نضجت وتريد أن تتزوج توفيق أم ماذا؟ ما السبب وراء هذا الموقف يا تُرى؟**

**لأول مرّة تأخذ (هنا) قراراً منفصلاً عن أمّها دون الاستماع حتى إلى النصيحة.**

**طلبت هدى من توفيق مقابلتها خارج المنزل، وبدأت كلامها معه بأنّها تحترمه وتقدره، وممتنة له على كل ما فعله من أجلها، ولم تترك له فرصة لمقاطعتها حتى صدمته بسؤال مباشر:**

**_ لماذا تريد أن تتزوج (هنا)؟**

**_لأنّي أرى فيها الزوجة المناسبة لي.**

**_باغتته هدى: ألا ترى فارق السن الكبير بينكما؟**

**_توتّر توفيق قليلاً : لا أنكر فارق السن، لكنّي لست عجوزاً كهلاً و ليست مراهقة صغيرة، لذلك أرى أنّ فارق العمر مقبول طالما نحن الاثنين في نفس المرحلة، مرحلة الشباب، إلا إن كنت ترين أنّي تخطيت مرحلة الشباب في نظرك، وأحبّ أن أذكرك أن مرحلة الشباب ممتدة من العشرين إلى الأربعين ولن أقول إلى الخمسين كما يقال عادةً.**

**وأحب أن أؤكد لك أنّي لم أتزوج من قبل.**

**_سكتت هدى لبرهة: إنّ ما يهمني حقاً أن تتزوج ابنتي من إنسان يحبّها ويحنو عليها، فلا بدّ أن تعرف أنّ ابنتي طفلة في العشرين، وربّما هذا خطئي أنا، لقد أفرطت في حمايتها وتدليلها، لذلك أريد أن أصلح هذا الخطأ قدر استطاعتي، ولهذا لا أريد أن أزوجها الآن، فلننتظر إلى أن تنهي دراستها، ثم نرى.**

**ثم أردفت : أنا لا أعترض عليك، لكني أعترض على المبدأ عامةً وعلى التوقيت خاصةً.**

**حرّك توفيق رأسه بعيداً، ثمّ أعاد النظر إلى هدى وعيناه تلمعان بالدموع، وبدا ظاهراً عليه التوتر فأمسك يد هدى فيما يشبه المصافحة:**

**_أريد أن أعترف لك بشيء (وسكت لحظة)**

**: إنّي أحببت (هنا) منذ اللحظة التي وقعت عيني عليها، وأعترف أنّي قاومت شعوري هذا كثيراً لكن دون**

**جدوى، وأن ما حدث منّي في السجن ما هو إلا ثورة غضب، غضب العاشق عن حرمانه مِمّن يحب، لا كرامة ولا كبرياء، وأريد أن أؤكد لك أني لم أعرف الحبّ من قبل ولن أعرفه حقّ المعرفة إلا مع (هنا) فقط.**

**_ومع ذلك سأوافق على أيّ قرار منك ومنها، وأريدك أن تعرفي أني سأبقى بجواركم سنداً وعوناً حتى ولو لم يُقدّر لي الزواج منها.**

**وترك يدها، وهبّ واقفاً، ودفع الحساب، وغادر الطاولة، والمكان كله في لمح البصر.**

**بينما ظلّت هدى جالسة لساعة أو أكثر تحاول أن تستجمع شتات أفكارها، وتأخذ قراراً في صالح (هنا). لكن**

**يا تُرى ما هو الصالح لـ(هنا)...؟**

**رجعت إلى البيت لتجد (هنا) تجلس على أحد كراسي (الصالون)، أمام الباب وبادرتها هل قابلتِ توفيق؟**

**_ نعم، وأخبرته أن ينتظرك إلى أن تنهي دراستك، ووافق.**

**_انتفضت (هنا) واقفة واحتدت: لماذا قلتِ له ذلك؟ لماذا؟**

**_تعجّبت هدى: ألم نتفق على هذا؟!**

**_انفعلت (هنا)بشدة: لا، بل اتفقنا أن تسأليه لا تجبريه، لماذا تصرّين على نفس الخطأ مرة أخرى؟**

**_ ردّت هدى باستغراب شديد: عن أي خطأ تتحدثين؟**

**_اتجهت (هنا) نحو الهاتف وطلبت رقماً دون أن تردّ على أمّها، وبعد فترة رفع الطرف الآخر السماعة، فقالت بثقة واندفاع:**

**_ توفيق، أنا (هنا) أريد أن أخبرك أنّي أوافق وأرحّب بالزواج منك في أقرب فرصة، ما رأيك؟**

**_ رد بسرعة: أي رأي!؟ نتزوج اليوم قبل غد.**

**_ تعال إذاً لتحدد كلّ شيء مع أمّي.**

**ووضعت السماعة ونظرت إلى هدى التي كانت تقف في مكانها كالصنم جاحظة العينين فاتحة ثغرها في**

**ذهول.**

## المشهد الخامس

**ربّما هذا الأفضل.**

**(قالت هدى ذلك متمتمة وهي تنظر إلى (هنا) وتوفيق في حفل الزفاف)**

**وقالت برضا وهدوء: قدّر الله وما شاء فعل، أنا أريد وأنت تريد ويفعل الله ما يريد.**

**نظرت هدى إلى (هنا) في إعجاب وسعادة: تبدو حقاً عروساً رائعة الجمال والرقة، ما أسعد هذه اللحظة وما أجملها.**

**ثم حوّلت نظرها إلى توفيق:**

**هو أيضاً يبدو رائعاً وفي قمّة السعادة، يبدو وكأنّه حقاً شابٌ في العشرين، السعادة تتطاير من عينيه لتنشر السرور على كلّ ما يحيط به.**

**لاحظت هدى نظرات توفيق إليها وإلى (هنا)؛ كان يرمق (هنا) بحنان بالغ وعندما ينظر إلى هدى يشكرها بعيونه على هذه النعمة التي منحته إياها وعلى هذه السعادة والرضا، نعم، الرضا هذا ما يشعر به توفيق في هذه اللحظة. (الرضا هو قمّة السعادة).**

**ظلّ جوّ الفرح والسرور يخيّم على المكان، وكلّ من فيه إلى أن انتهت الحفلة وخرج توفيق و(هنا) ليركبوا**

**السيارة المخصصة لنقلهم إلى منزلهم، أمام السيارة وقفت هدى لتودع (هنا) وفتح توفيق باب السيارة لها.**

**عندها فاجأت (هنا) الجميع، عندما قالت لهدى: ألن تركبي معي السيارة؟**

**_قالت هدى بتعجب: بالطبع، لا.**

**_ احتدت هنا: ماذا؟ لن أتركك في الشارع بمفردك، تعالي معي، هيا اركبي.**

**_ ابتسمت هدى: هناك سيارة تنتظرني لكي توصلني إلى البيت، اذهبي لا تقلقي.**

**_ أي بيت! (رفعت (هنا) صوتها)**

**_ تعجبت هدى: بيتي، ما الأمر؟!**

**_ ألن تأتي معي!**

**صدمت الجملة توفيق كما صدمت هدى لكنّه لم يفتح فمه.**

**_ ردت هدى بحزم وهدوء: أنا ذاهبة إلى بيتي وأنت ذاهبة إلى بيتك، هيّا الكلّ ينتظر ركوبك السيارة ومغادرتك المكان.**

**سقطت الدموع من عيون (هنا)، فاقتربت هدى منها وضمتها بحنان وهمست في أذنها:**

**_ حبيبتي سوف آتي لزيارتك صباحاً، هيّا اذهبي الآن حتى يذهب الجميع لمنازلهم وما هي إلا ساعات معدودة ونتقابل.**

**وقبلتها على وجنتيها ونظرت على وجهها ومسحت الدموع وربتت على ظهرها وحثتها على ركوب السيارة؛ فركبت (هنا) باستسلام، فأغلق توفيق الباب، وأسرع في الركوب من الجانب الآخر وانطلقت السيارة، والتفتت (هنا) للخلف تنظر إلى أمّها وهي تبتعد وتبتعد حتى غابت وسط الزحام، فاعتدلت وظلت تبكي بحرقة طوال الطريق حتى وصلوا إلى البيت ودخلت مع توفيق، الذي لم يفتح فمه بكلمة واحدة حتى بعد أن وصلوا للبيت بل ظلّ شارداً وعابساً.**

**أضاء توفيق مدخل البيت ثم انتقل من مكان لآخر في البهو وهو يضيء المصابيح في كل مكان، بينما ظلّت (هنا) واقفة جوار الباب، فأشار لها لتصعد السلالم التي كانت تتوسط البهو.**

**منزل توفيق عبارة عن طابقين: الأوّل عبارة عن غرفة على يمين الباب فيها تلفاز ومكتب صغير ومكتبة، وكرسي مريح يحب الجلوس عليه، وبهو واسع وضعت فيه الكراسي المذهبة أمام الحائط المواجه**

للباب، وعلى اليسار طاقم آخر مريح و أريكة مريحة ضخمة ومائدة طعام متوسطة الحجم حولها ستة كراسي ويتوسط باب الشرفة الزجاجي هذا الجزء ليسمح لمن يجلس على المائدة أو على الأريكة رؤية الحديقة المحيطة بالمنزل، ويضم أيضا هذا الطابق حماماً ومطبخاً.

أما الطابق الثاني؛ فيحتوي على ثلاث غرف واحدة على يمين السلم واثنتين على اليسار وكل غرفة مستقلة بحمام خاص بها.

وقد جدّد توفيق معظم أثاث البيت وأعدّ إحدى الغرفتين المتجاورتين لتكون غرفة النوم الرئيسية لأنّها تطل على الحديقة الأمامية للمنزل.

صعد توفيق السلالم مع (هنا) وفتح لها باب الغرفة فدخلت بهدوء وأدارت عينيها في الغرفة ثمّ جلست على كرسي موضوع أمام مرآة كبيرة كانت الغرفة كبيرة يتوسّطها السرير وملحقاته، وعلى يمين الباب خزانة ملابس ضخمة وعلى اليسار مرآة كبيرة أمامها كرسي يتماشى معها، وعلى بعد خطوات توجد الشرفة المطلة على الحديقة بابها الزجاجي يغطي الجدار كله وأمامها كرسي كبير مريح.

ذهب توفيق إلى خزانة الملابس وأخذ شيئاً ليلبسه وخرج من الغرفة وهو يقول:

_ سوف أبدل ملابسي في الغرفة المجاورة وأغلق الباب خلفه.

نظرت (هنا) إلى نفسها في المرآة وشردت بحيث لم تشعر بالوقت ولم يُفقها من شرودها غير صوت الباب عندما فتحه توفيق فجأة ودخل.

عندها هبّت واقفة في مكانها، خطا توفيق خطوتين داخل الغرفة قائلاً برفق:

_ هل مازالت تجلسين كما أنت؟

ثم اتجه إلى خزانة الملابس وأحضر منها شيئاً لتلبسه (هنا) وقال وهو يبتسم ويعرضه عليها:

_ما رأيك في هذا؟ (كان قميص نوم من الحرير الأسود بسيطاً ولكنّه أنيق) ووضعه على طرف السرير القريب منه، ثم اتجه إليها وحاول أن يضع يده على رأسها فارتعشت وابتعدت عنه بضع خطوات.

_قال مبرراً: أحاول أن أساعدك في إزاحة هذا الوشاح عن رأسك.

لكنّها لم ترد ولم تنظر إليه ولم تزل الوشاح، فاقترب منها مرة أخرى ووضع يده على كتفها، فأسرعت في الابتعاد عنه، وكادت أن تسقط على الأرض فمدّ لها يده لتستند عليها ولكنّها أغفلتها واستندت على ظهر كرسي قريب منها، ثمّ أمسكت طرف ثوبها وجذبته إليها بغضب لأنّها تعثرت به وكاد أن يسقطها.

ثم حوّلت نظرها إلى توفيق ورمقته بنظرة عنيفة يملأها الغضب، خطا نحوها خطوة فرأى في عينيها نظرة حقد.

نعم هذه نظرة حقد وربما...كره. لكن لماذا؟ (هذا ما جال في خاطر توفيق).

**فرجع بضع خطوات للخلف ثم ارتمى جالساً فوق طرف السرير القريب، وأطرق وهو يعقد كفيه، ثم أسند مرفقيه على ركبتيه ووضع رأسه بين كفيه وتنهد وصمت.**

**تحركت (هنا) ببطء وجلست على الكرسي حيث كانت تقف ليكن وجهها مقابلاً لتوفيق، كان هذا الكرسي الذي أنقذها منذ برهة من الوقوع أرضا أو بين يدي توفيق وها هو ينقذها الآن حيث لا تكاد تشعر بقدميها وخذلتها فلم تعد تستطيع الوقوف عليها.**

**مرّت فترة من الزمن وهم على هذه الحال، حتى رفع توفيق رأسه لينظر إلى (هنا) حيث كانت شاردة فأخذ يتفحص تعابير وجهها ولكنّه لم يرَ شيئاً واضحاً عليه، كان وجهها صامتاً لا يبدي شيئاً، فوقف في مكانه ولم يتحرك ومن فوره وقفت (هنا)، وظهر على وجهها التوتر، فظلّ واقفاً ينظر إليها بتمعن، ثم حوّل نظره عنها وتنهّد، ثم خطا خطوة للأمام وهو يرفع يده ليمررها فوق رأسه في ضيق،**

**فارتعبت (هنا) وتحركت بلهفة خطوتين للجنب ثم للخلف، كمن يترقب هجوماً ضارياً عليه وهو أعزل.**

**فحوّل إليها نظره، وشاهد النظرة التي تعلو وجهها، وغلب عليه الحزن والأسف، فمشى نحو الباب وخرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه دون أن ينطق بشيء، وذهب إلى الغرفة المجاورة، وضرب رأسه بالحائط**

**عدة مرات وهو ينعت نفسه بالغباء، ثمّ ارتمى على السرير الموضوع بها وغطّ في سبات عميق.**

**بينما جلست (هنا)على نفس الكرسي بملابس الفرح إلى أن أشرقت الشمس، فقامت إلى الشرفة وفردت الستار عليها ثم اتجهت إلى خزانة الملابس وأخرجت شيئا لتلبسه ثم ارتمت على السرير هي الأخرى وغطت في سبات عميق.**

**استيقظ توفيق في وقت متأخر من الظهيرة، واتجه نحو الغرفة حيث تنام (هنا)، وفتح الباب بهدوء، وأطلّ برأسه من الباب فوجدها تغط في النوم فأغلق الباب بحرص شديد لكيلا تشعر به، ثمّ اتجه إلى الطابق السفلي حيث مائدة الطعام ورفع غطاء كان يغطي طعاماً تركته الخادمة في اليوم السابق لكي يتعشى منه العروسان، بدأ في رفع الطعام ونقله إلى المطبخ وبعد أن انتهى من ذلك تناول إفطاراً خفيفاً على طاولة صغيرة بالمطبخ،**

**ثم ذهب إلى غرفة المكتب وجلس على كرسيه المريح، وشرع يتذكر ما حدث من بداية رؤيته لـ(هنا) على أسوار السجن إلى نظرة الفزع في عينيها في غرفة النوم، وأخذ يؤنب نفسه:**

**أنا المسؤول عن هذا الوضع البغيض، أنا وحدي.**

**كان لابد أن أنتظر إلى أن أستعيد ثقتها بي قبل الزواج منها.**

**طبعاً، لابد أنّي فقدت ثقتها واحترامها بعد ما فعلته معها تلك الليلة وفي السجن أيضاً.**

**كيف لم أفكر في هذا؟**

**لقد كانت تحترمني من قبل وربما كان من الممكن أن تحبني (تنهد) لو ... (زفر)**

**لو لم أغضب وانفعل هكذا (وقف وضرب الحائط بيده وأخذ يمشط الغرفة ذهاباً وإياباً)**

**ليتني صبرت قليلاً كانت لن تتحمل انتظار مواعيد الزيارة الرسمية، وستعود وتعتذر وتطلب مقابلة أمّها عندي مثل السابق، وعندئذ كان من المؤكد أن موقفي سيكون أفضل أمامها وأمام الجميع عندما أتقبل عودتها بصدر رحب، وربما أحبني لتسامحي وعطفي.**

**ولو حاولت مقابلتها خارج السجن ربما كان باستطاعتي أن أكسب قلبها، لقد كانت تأنس بصحبتي وتحدثني عن كل شيء في حياتها، كانت تثق بي وتقدرني (تأفف).**

**لكنّي مع الأسف فقدت السيطرة على نفسي.**

**ربما كان معي حق فقد صدمني تصرفهم، لو أخبروني بقرارهم بدلاً من أن يفاجئوني به هكذا.**

**لكنني رجل ناضج ومسؤول كان لابد أن أحكّم عقلي قليلاً ولا أندفع هكذا، كان لابدّ أن أدرس جميع الاحتمالات قبل أن أتخذ أيّ قرار،**

**الغضب، الغضب (وضرب أقرب حائط بقبضته) هذا عدوي اللدود هو من وصمني بالعار والخسة.**

**نعم، لابدّ وأنّها تحتقرني بعد ما فعلته معها.**

**أين عقلي؟ أين كان عندما سارعت بطلبها للزواج؟**

**كان لابدّ أن أنتظر كي تنسى وتسامح، كان لابد أن أتأكد أولاً من أنها نسيت الشخص الحقير الذي راودها عن نفسها مقابل رؤية أمّها.**

**كان لابدّ أن أذكرها بالإنسان العطوف المحب الذي استقبلها في مكتبه بكل حفاوة، ويسّر لها رؤية أمّها وقتما تشاء رحمة منه بحالها وحال أمّها.**

**كان لابدّ أن أتأكد أنّها تريد الزواج منّي حقاً وليس رداً للجميل، أو ربّما (شرد ثواني وتذكّر نظرة الفزع على وجهها بالأمس)**

**وافقت خوفاً (وارتمى على الكرسي وتنهد).**

**نعم، لقد وافقت على الزواج خوفاً، لذلك وافقت بهذه السرعة، هذا يبرر تصرفها بالأمس.**

**(تأوّه من أعماق قلبه) كم أنا مغفّل وأناني!، لقد استغللت هذه الفتاة في الأول وفي الآخر.**

**ما عساي أن أفعل الآن؟ (وضع رأسه بين يديه وتقلّصت ملامحه من الضيق والندم).**

**جلس فترة كبيرة يفكّر، ما هو الحل؟ وما الذي يتوجّب عليه فعله؟ حتى انتزعه من أفكاره صوت خطوات خارج الغرفة، فوقف وخرج للبهو فشاهد (هنا) وهي تمشي في اتجاه السلالم وظهرها إليه، فحدثها:**

**_هل استيقظتِ؟ أنا لم أشأ أن أزعجك وتركتك لتأخذي راحتك في النوم.**

**_عندها استدارت له وردت ببرود: شكراً. (كان وجهها مرهقاً).**

**_تجاهل طريقتها وأكمل حديثه: لقد أعدت الإفطار لكِ، هل أحضره على المائدة أم تحبين أن أحضره لكِ في غرفة النوم.**

**كانت (هنا) تصعد السلالم ولكنّها توقفت عند هذه الكلمة ونزلت درجة وبلهفة :**

**_لا، لا داعي أن تتعب نفسك سوف أتناوله هُنا على المائدة.**

**ابتسم توفيق وهو يراقبها وهي تنزل السلم لتجلس على كرسي المائدة.**

**كان قد تعمّد أن يقول هذه الجملة لكي يدفعها إلى النزول ويمنعها من التقوقع في الغرفة وربّما رفض الطعام.**

**ذهب إلى المطبخ وسرعان ما أحضر الإفطار ووضعه أمامها على المائدة ثم قال بمرح:**

**_ على الرغم من أنّى تناولت الإفطار عندما استيقظت لكنّي سأشاركك الطعام.**

**لم ترد (هنا) وشرعت في تناول الطعام بهدوء.**

**حاول توفيق أن يكسر حدّة التوتر: لابدّ أن نبدأ في الاستعداد للسفر لم يعد أمامنا وقت طويل على ميعاد الطائرة.**

**_طائرة! أيّ طائرة!**

**_ الطائرة التي حجزت عليها لكي نسافر لنقضي شهر العسل، لقد اخترت البحر الأحمر، ما رأيك يكون الجو رائعاً في هذا الوقت من العام (كان يتحدث بحماس)**

**_ انتفضت (هنا) واقفة : لا أريد أن أسافر، لن أترك أمي هُنا وأذهب إلى أيّ مكان.**

**_ لكنّه شهر العسل وهو في الحقيقة مجرد أسبوعين لكيلا تتأخري عن دراستك، والمكان هناك جميل وسوف تستمتعين بوقتك.**

**_ لا أستمتع بأيّ شيء دون أمّي، ويكفي أنني تركتها بالأمس ولن أتركها بعد ذلك أبداً، أبداً**

**(وتركت المائدة ووقفت أمام الشرفة لتنظر من خلال الزجاج إلى السماء).**

**وقف توفيق أيضاً في غضب واتجه إلى غرفة المكتب، وأخذ ينفث ويدعك وجهه بيديه، ورمى نفسه على كرسيه قائلاً: وماذا بعد؟ ماذا أفعل مع هذه الطفلة المتمردة المدللة (ضرب مسند الكرسي بيديه).**
**ثمّ هبّ واقفاً وأخذ يتذمر وهو يدور في جوانب الغرفة وينظر إلى الأرض: بالأمس كانت ليلة زفافي ومع ذلك قضيتها وحدي واليوم تريد أن تبقى مع أمّها ولا تريد أن تذهب معي لقضاء شهر العسل، أيّ زواج هذا؟ وأي زوج أكون؟**

**لو ظللت صامتاً وهادئاً هكذا ولم أتخذ موقفاً ستفلت منّي زمام الأمور ولن أستطيع أن أديرها، وستظلُّ تعاملني بهذه الطريقة ولن أستطيع التفاهم معها ابداً.**

**لابدّ أن آخذ موقفاً معها حاداً وحازماً، لابدّ أن تفهم من الآن أنّها لم تعد الطفلة المدللة لأمّها وأنّها أصبحت زوجة، زوجتي أنا، ولابدّ أن ألزمها بتحمل مسؤولياتها الزوجيّة كاملة، ويجب أن تعرف أنّي أنا من أملك زمام**

**الأمور وتتوقف عن التمرد نهائياً، وأني مثلما فرضت إرادتي وأسلوبي على سجن بأكمله، أستطيع أن أفرضها على هذا البيت، وأستطيع أن أرغمها على طاعتي في كلّ شيء، نعم في كل شيء (عندها رفع رأسه ونظر**

**إلى نفسه في المرآة) دهش من منظره فوقف يتأمل نفسه قليلاً ثمّ أخذ يتحدث إليها: ما الذي تقوله الآن؟ أنت تتحول إلى نفس الوغد الحقير الذي كنت تسبّه طوال الصباح، أنت تترك الغضب يتملكك مرة أخرى، أيّ رجل أنت ؟! وأيّ قوة تتحدث عنها وأنت تفقد السيطرة على نفسك؟!**

**كيف تكون رجلاً له إرادة وأنت تترك الغضب يسلبك عقلك (تنهد ونظر إلى الأرض ثمّ رفع بصره الى المرآة وتابع حديثه) لابدّ أن تتعلم التحكم في أعصابك وتتخلص من أنانيتك، نعم أنت في غاية الأنانية، تفكر في نفسك وماذا تريد ولا تفكر في مشاعرها وفيما تريد، نعم أنت محق في أنّك تمتلك زمام الأمور في يديك الآن، بيدك تستطيع أن تكسب ثقتها ومحبتها، وبيدك يمكن أن تضيعها منك للأبد.**

**(أخذ نفساً عميقاً ثمّ زفره ببطء ثمّ خاطب نفسه في المرآة بصوت مسموع)**

**أعدك، بأن يكون هدفي الأساسي من اليوم كسب ثقتها واحترامها ومن ثم محبتها، لكن الشيء الوحيد الذي لن أعدك به هو أن أبتعد عنها لذا سأفعل أيّ شيء إلا الابتعاد عنها.**

**(تمعّن نفسه في المرآة وظهرت على وجهه علامات الجدية) وقال: أنا من تعجّل الزواج وأنا من أخطأ لذا لابدّ أن أتحمل عاقبة خطئي بشجاعة وهدوء.**

**(ابتسم لنفسه في المرآة) الآن يبدأ طريقي لكسب ثقتها.**

**ثمّ خرج من الغرفة ليجد (هنا) مازالت تقف أمام الشرفة كما تركها، تقدّم بهدوء ووقف خلفها صامتاً لفترة وهي لم تشعر به فقد كانت غارقة هي الأخرى في أفكارها، حيث كانت تفكر، من هذا الرجل؟ كم هو بغيض وسيء! كيف أوقعت نفسي في هذه الورطة ؟**

**ماذا أفعل الآن؟ لا أستطيع التراجع وتركه ولا حتى أن أغضبه، (تنهدت) أنا أكثر من يعلم غضبه(ارتعدت) لا لن أغضبه، أنا لا أستطيع الابتعاد عن أمي وصحتها لا تتحمل أيّ متاعب أكثر، وأنا من أوقعت نفسي في هذا المأزق بموافقتي على الزواج، وهي كانت ترفض.**

**يا ربي، لا يمكنني طلب المساعدة من أمي، ماذا أفعل؟ (سقطت الدموع من عينيها) عليّ أن أذهب إليه وأرضيه، وأنا أكره حتى النظر إلى وجهه.**

**عند هذه النقطة كلّمها توفيق: يمكن أن تأتي والدتك معنا.**

**لم تعرف (هنا) ما قاله بسبب حالتها فاستدارت له مستفهمة، فرأى دموعها، (عبس) واقترب منها ومسح دموعها من على وجنتيها، (وتركته يفعل)، و(برقة وحنان بالغ):**

**_لا تحزني كل ما تريدينه سوف أحققه لك إنّي لا أتحمل رؤية دموعك هذه.**

**_ ما الذي كنت تقوله؟**

**_ تستطيع والدتك السفر معنا، عندك حق، لا يمكن أن نتركها بمفردها ونسافر، لابد أن تبقى معنا دائماً لكي نطمئن على صحتها وراحتها.**

**ظهر الفرح على وجه (هنا) سريعاً وأخذت تمسح عن وجهها الدموع وهي تقول: حقاً، هل تعني ذلك؟ هل توافق أن تذهب أمي معنا؟**

**_نعم، وبكل سرور، هيّا بدلي ملابسك سريعاً لكي نتمكن من إحضارها واللحاق بطائرتنا قبل أن يباغتنا الوقت، هيّا.**

**_طارت (هنا) على السلالم وهي لا تكاد تصدق نفسها مما سمعته. بينما وقف توفيق في مكانه وظهرت على وجهه علامات الامتنان وأخذ نفساً عميقاً وزفره وعقد العزم على أن يستمر في منحها السعادة التي تستحق ويضع رغباته جانباً.**

**عندما فتحت هدى الباب ووجدت (هنا) وتوفيق أمامها دهشت وقالت:**

**_ أليس من المفروض أن تكونوا الآن في المطار.**

**_ابتسم توفيق: إننا لا نستطيع أن نذهب إلى أيّ مكان بدونك، نريدك أن تأتي معنا.**

**أومأت هدى برأسها وتوقّعت أن هذا قرار (هنا) وهو يحاول إرضاءها فأدخلتهم وقالت:**

**_ أشكرك على دعوتك.**

**_قاطعتها (هنا) باندفاع: لا..... حقاً نحن أتينا لنأخذك معنا.**

**نظرت هدى إلى (هنا) بحنق وقالت بلهجة تشبه الأمر:**

**_ لا..... اذهبوا أنتم وتمتعوا برحلتكم، عندي هنا ما يشغلني.**

**_حاول إقناعها: نحن لن نستمتع بأي شيء من دونك لذلك نريدك معنا.**

**ابتسمت له هدى وقالت تفضل بالجلوس، وأمسكت بيد (هنا): تعالي هناك شيء أريد أن أعطيك إيّاه وجذبتها إلى غرفة النوم وأغلقت الباب واحتدت عليها قائلة:**

**_ما هذا بالضبط ؟! ما الذي جاء بكِ إلى هنا ؟! أنا لن أذهب معك إلى أي مكان.**

**_انفعلت (هنا) لماذا؟؟ نريدك أن تأتي معنا.**

**_ بل تريدين ان آتي معكِ، لابدّ أن تتفهمي وضعك الجديد، وتتوقفي عن التصرف كطفلة صغيرة متعلقة بأمّها، انضجي قليلاً واعتمدي على نفسك، واستقلي بحياتك من الآن فصاعداً.**

**_شرعت (هنا) في البكاء: إنه موافق، صدقيني هو من اقترح ذلك.**

**_ وافق فقط لكي يرضيك، ولكن لا يمكن أن يكون راضياً، لذلك لن أذهب معك الآن ولا بعد ذلك، ربما بعد أعوام عندما يصبح لديك أطفال تحتاج الرعاية سوف أحضر لمساعدتكم، لكني قطعا لن أذهب معك في رحلة شهر العسل.**

**_ انهارت (هنا) على طرف السرير ورفعت صوتها: لا تقذفي بي خارج حياتك هكذا، أنا لم أوافق على هذا الزواج لكي أبتعد عنك بل لأظل جوارك دائماً وأبداً، أمي لا تتخلي عنّي.**

**_ احتضنتها هدى ولمست شعرها بحنان: حبيبتي أنا لا أتخلى عنك ولا أقذف بك خارج حياتي، أنا أدعوك للاستقلال بحياتك واستكمال حياتك مع زوجك امتداداً لحياتك معي وأنا سوف أظل دائما جوارك**

**أنصحك وأدعمك في كل وقت، حبيبتي لابد أن تراعي مشاعر من حولك كما تريدين من الجميع أن يراعي مشاعرك، إن زوجك لا بدّ وأنه يريد أن يستمتع بصحبتك ولن يمكنه ذلك وأنا معكم.**

**_ لكنه موافق (رددتها (هنا) بإصرار وبصوت عالٍ)**

**_فدخل توفيق: سيدة هدى إنني لن أستطيع أن أستمتع بوقتي، وأنا أعلم أنك بمفردك هنا، أنت تعلمين كم أقدرك وأحترمك ولن أحتمل فكرة أن يصيبك مكروه –لا قدر الله –وأنا مسافر، لذلك لن أنعم براحة البال، فمن فضلك أسرعي وجهزي نفسك للسفر وإلا فاتتنا الطائرة، ثم نظر إلى (هنا) ثم إلى هدى وقال: كما ترين لن يكون هناك سعادة ولا عسل بدونك فهيّا استعدي، الوقت ضاق.**

**_ استسلمت هدى، حسنا اتركاني دقيقة أجهز حقيبتي.**

**خرجت (هنا) مع توفيق وأمسكت يديه وقالت وهي تكاد تقفز من السعادة: شكراً لك، شكراً، شكراً.**

**نظر إليها بامتنان : لا داعي للشكر كلّ ما يسعدك يسعدني، وهذا واجبي من الآن، أن أحقق لكِ كلّ ما يسعدك، شعرت (هنا) بالخجل واحمرت وجنتيها ونظرت إلى الأرض، وشعر توفيق أنّه ربما يكون بذلك قد خطا أول خطوة في طريقه إلى قلبها، وتمنى أن يكمل طريقه سريعاً بدون عوائق أو مطبات.**

**شهر العسل، لم يكن هذا حقاً ما يتوقعه أيّ زوج، ولكن توفيق كان مختلفاً، كان عاقد العزم على الوفاء بوعده الذي قطعه لنفسه، بأن لا يدخر جهداً في السعي للحصول على ثقة زوجته واحترامها على أمل نيل محبتها في يوم من الأيام.**

**كان مخطط توفيق للرحلة أن ينزل في (شاليه) منفصل على البحر، كان (الشاليه) مكوناً من حجرتين وحمام وبهو صغير يرى من خلاله البحر.**

**فور وصولهم (الشاليه) وضع حقيبة هدى في إحدى الحجرتين ووضع حقائبهم في الحجرة الأخرى وخرجوا جميعاً لتناول العشاء على البحر، عندما عادوا ذهبت (هنا) لتفرغ حقيبتها فدخل توفيق خلفها فظهر عليها التوتر فبادرها قائلاً:**

**_ (هنا) أريد أن أتحدث معك قليلاً، أريدك أن تعرفي أنني لن أرغمك على شيء لا تريدينه، ولن أطالبك بشيء تكرهينه، لكن كلّ ما أرجوه منك أن يظل الأمر بيننا، بيننا فقط لا يعلمه أحد خاصة هدى، فذلك سوف يقلقها وهي لا تستحق ذلك، إنها تستحق راحة البال أليس كذلك؟**

**_ أطرقت (هنا) وجلست على حافة السرير فاقترب منها قائلاً:**

**_ أما أمام الناس لن أقول نظهر كزوجين متحابين ولكن على الأقل متفاهمين وأخذ غطاء من فوق السرير واتجه إلى الأريكة، ففي النهاية نحن زوجان.**

**فأدارت (هنا) رأسها إليه سريعاً عندما قال هذه الكلمة فأردف قائلاً :**

**_ ولا تنسي أنّك وافقت على الزواج.**

**نظرت إليه نظرة ملامة قاسية، فأدار وجهه متظاهراً بإعداد فراشه للنوم:**

**_سأنام على الأريكة وأترك لك السرير (ثم استدار)**

**_ وبحزم: اتفقنا؟**

**فأومأت برأسها بالموافقة، وأخذت شيئاً لتلبسه من حقيبتها، وذهبت لتغيّر في الحمام، بينما غيّر ملابسه في الحجرة واضطجع على الأريكة وشرد إلى أن سمع صوت باب الحجرة يغلق فنظر فوجدها تلبس (بيجاما) من الحرير بدون ذراعين والبنطلون يصل إلى الركبتين لتبدو في اللون الأحمر الناري كأنّها تشع نوراً، فأغمض عينيه وقال في نفسه ستكون هذه ليلة عصيبة وتنهد. بينما أطفأت (هنا) النور وذهبت للفراش وهي معتقدة أنه نائم وظلت مستيقظة قليلاً ثم أدركها النعاس، بينما ظلّ توفيق متيقظاً قلقاً يبعث إليها النظرات بين الحين والآخر، وعندما تحركت في نومها ليواجه وجهها ناحيته، رأى**

**وجهها هادئاً ناعماً كأنّه يضيء ليرسل بسنا نوره إلى القمر لينيره وليس العكس، وشعر برغبة عارمة في الاقتراب من هذا الوجه الحالم لينهل من سنا نوره ويملأ قلبه المعتم بالحزن ولكنّه نهى نفسه قائلاً:**

**سوف أخسر ثقتها إلى الأبد، (أدار وجهه) وظلّ يردد لابدّ أن أستعيد ثقتها بي حتى غالبه النعاس ونام.**

**عند انتشار أولى خيوط أشعة الشمس استيقظ توفيق و نظر بسعادة إلى الوجه الحالم النائم أمامه ثم نهض بخفة وهدوء وخرج لإحضار الإفطار وعندما عاد دنا منها ووضع يده على شعرها، فانتفضت في ذعر جالسة، ومن فوره اعتدل توفيق وحاول أن يتغاضى ويمرر لموقف، فقال باسماً:**

**_هيّا يا كسولة، الإفطار جاهز على البحر، أسرعي وأيقظِي هدى قبل أن يبرد،**

**خرج من الحجرة وتوجّه حيث وضع الطعام وهو يستشيط غضباً ويحاول أن يهدئ نفسه، ونجح في ذلك فعندما وصلتا إليه، قابلهم بابتسامة عذبة وقدّم لهم الطعام بلطف.**

**قضت (هنا) اليوم كلّه بصحبة هدى ولم تتركها للحظة واحدة، وفي المساء لم يعلق توفيق ولم يعاتبها بل ذهب إلى النوم قبلها ولم يتكلم معها نهائياً.**

**في اليوم التالي اختار توفيق مطعماً أنيقاً لتناول الغداء، وانتهزت هدى لحظات تركهم فيها ليغسل يديه وعاتبت (هنا) بهدوء قائلة:**

**_ يا حبيبتي إنّك لا تقضين أيّ وقت مع زوجك، وتلازميننني كظلي ولا تتحدثين معه ولا حتى تنظرين إليه**

**هذا كثير، لماذا تعاملينه بهذه الطريقة؟ لو بقيت هكذا سيملّ ويغضب وأنتم لم تبدؤوا حياتكم بعد.**

**_قاطعتها (هنا) لا تقلقي يكفيه أنّي أقضي معه الليل وإنه سعيد بذلك وغير متضرر على الإطلاق، صدقيني لا داعي للقلق.**

**عاد توفيق إلى الطاولة فلم تحاول هدى المجادلة ولم تحاول أن تفتح الموضوع مرة أخرى، فعلى الرغم من أن هدى قريبة جداً من ابنتها إلا أنها تستحي أن تتكلم معها في الأمور الخاصة مثل علاقتها الحميمة مع زوجها، فلم تسألها عن ليلة الدخلة أو ما جرى فيها، فهدى إنسانة خجولة بطبعها وتخجل حتى من ابنتها وربما لو جاءت إليها (هنا) وسألتها سؤالاً مباشراً لردت عليها ولكنّها لا تجرؤ على فتح حوار مثل ذلك حتى مع ابنتها بل مع ابنتها على الخصوص.**

**مضت الأيام سريعة ليعودوا جميعاً إلى القاهرة حيث أصرّ توفيق في المطار على هدى لكي تأتي معهم إلى المنزل، وهناك أقنعها بضرورة بقائها للعيش معهم لكي تستقر حياتهم وينعم بمساعدتها في التقرب من (هنا) والتفاهم معها، وفي الحقيقة لم يُقتنع هدى بالعيش معهم سوى جملة واحدة، قالها توفيق بصدق ويقين جعل هدى تشعر بالمسؤولية:**

**(طالما أنت بعيدة، سوف تراني (هنا) عدواً لها، حرمها من أمها، ولكن عندما تعيشين معنا، هناك أمل بأن تراني زوجاً)**

**كان توفيق قد أصدر أوامره عبر الهاتف إلى الخادمة لكي تجهز الغرفة المنفصلة لهدى وبعد أن تناولوا الغداء، الثلاثة سوياً، أرشد هدى بنفسه إلى الغرفة.**

**كانت الغرفة متوسطة الحجم ومريحة، دهنت حيطانها بلون سماوي وتطل شرفتها على الحديقة الخلفية للمنزل.**

**دخلت هدى الغرفة وتجوّلت بها وتوفيق يحدثها: إذا أردتِ أيّ تغير أو تعديل بها أنا جاهز لذلك، المهم راحتك لا تفكري في أيّ شيء فقط أخبريني،**

**_ فقاطعته هدى: إنها رائعة واتجهت إلى الشرفة وفتحتها ووقفت ومن خلفها توفيق و(هنا) وأخذت هدى نفساً عميقاً وزفرته:لكم حلمت أن أسكن في بيت فيه حديقة.**

**رد توفيق بمرح: أحلامك أوامر**

**فنظرت إليه (هنا) بابتسامة رائعة كأنّها تقبله بعينيها، بينما شكرته هدى بالكلمات.**

**تأكّد توفيق حينها بأنّ الطريق إلى قلب (هنا) يمر عبر هدى أو ربما هدى هي باب قلبها.**

**طلب من هدى مفتاح شقتها ليرسل الخادمة والسائق لكي يحضروا ما تحتاجه من ملابس، لكنّها صممت على أن تذهب بنفسها، فوافق على أن تذهب معهم لتشرف عليهم ولكن لا تحمل شيئاً بنفسها لكيلا ترهق، وسارعت (هنا) بإعلان رغبتها في الذهاب مع هدى لكنّ هدى رفضت وطلبت منها البقاء لتفريغ الحقائب التي كانت معهم في السفر وإعداد طعام العشاء، فوافقت (هنا) على مضض.**

**بعد ذهاب هدى، ذهبت (هنا)لتنفذ تعليمات أمّها وتفرغ حقيبتها، فدخل توفيق عليها بعد أن طرق الباب وسمحت له بالدخول، فذهب إلى خزانة الملابس وفتحها قائلاً:**

**_أنا سوف أنقل ملابسي إلى الغرفة المجاورة وسوف أنام هناك إلى أن تدعوني يوماً لكي أعيدها مرة أخرى،**

**ما رأيك؟ ثم التفت ونظر إليها.**

**كانت تقف خلفه قريباً من السرير فجلست ونظرت إلى الأرض:**

**_إذا كان ذلك يريحك.**

**_ لا، بل لا يريحني على الإطلاق، ولكن الهدف راحتك أنتِ.**

**رفعت بصرها إليه متمعنة ثم خفضته.**

**_إذا أردت أن تبقى هنا ابق.**

**اقترب والتصق بجوارها فابتعدت قليلاً.**

**_ لا، لا أريد أن أظل هُنا، وأنت تعاملينني بهذه الطريقة.**

**_ أيّ طريقة؟ (تساءلت وهي تنظر في الاتجاه الآخر بعيداً عنه)**

**_ أقترب تبتعدين.**

**_لن أبتعد إذا كان ذلك يغضبك.**

**وقف توفيق واحتد: (هنا)، لا تتعاملين معي وكأنّك أسيرة عندي، (هنا) أنت زوجتي.**

**عاد وجلس ووضع ذراعه على كتفيها وقربها منه بحنان.**

**_(هنا)، كوني صريحة معي ولا تخافي وأخبريني دائماً بما تريدينه، ولا تفكري أبداً في غضبي، إن ما يغضبني حقاً أن أشعر أنك تخافين مني، وتجبرين نفسك على فعل أشياء لا تحبينها فقط لأنك تخافين، (هنا) أنا لا أحمل سوطاً في يدي لماذا تخافين منّي؟**

**_ردت: تريد الصراحة، أنت تحمل سكيناً وليس سوطاً.**

**أنزل ذراعه وابتعد لينظر إلى وجهها فلم تنظر إليه وظلت تنظر إلى الأرض.**

**_ ما قصدك؟ أيّ سكين!**

**_ السجن، يمكنك أن تعيد أمي إلى السجن مثلما أخرجتها منه.**

**هبّ واقفاً ونفث وأخذ يدعك وجهه بيديه وابتعد بضع خطوات، فوقفت هي الأخرى في مكانها وسارعت بالقول:أنت من طلب الصراحة.**

**عاد بخطى سريعة ليقف أمامها وأمسك كتفيها: من أين لك هذه الأفكار السخيفة؟ كيف أدخل أم زوجتي السجن! هل جننت؟ ماذا سيقول عنّي الناس؟ ثمّ هل تظنين أن السجن ملكُ لي؟**

**أنا أعمل فيه، لا أختار من يدخله ومن يخرج منه، هناك شيء اسمه محكمة وقضاء،**

**أيّ هذيان هذا الذي تقولينه؟**

**_ ردت بلهفة: لقد أخرجتها من السجن وكان هناك حكم محكمة بالسجن؟**

**_ يا عزيزتي لقد أخذت لها حكماً بالعفو الصحي، وآخر بالبراءة.**

**_ نعم أفهم ذلك، وتستطيع أن تأخذ لها حكماً آخر بأي تهمة تريدها.**

**ترك كتفيها بغضب فاختل اتزانها لتسقط على طرف السرير جالسة وابتعد عنها وهو يحرك رأسه يميناً وشمالاً، وتمتم: لا أصدق ما أسمعه لا أصدق.**

**وذهب إلى الحائط وضربه بقبضته عدة مرات ثم استدار لها وقال وهو يخطو عائداً إليها:**

**_ هل تريننني بهذا السوء؟ هل أنا رجل عديم الأخلاق إلى هذه الدرجة في نظرك؟ هل تظنين أني معدوم الضمير؟**

**كيف سألفق تهمة لإنسان بريء لأنتقم أو لأصل إلى امرأة أريدها؟ ألم تعرفي عني شيئاً؟ ألم تفهميني على**

**الإطلاق؟**

**كانت ملامح وجهه متقلصة والحزن يملؤها، فوقفت تدافع وتبرر:**

**_لا، لم أعن ذلك، لا تغضب أنا آسفة.**

**حرّك رأسه يميناً ويساراً ووضع كفه على صدره وقال بصوت معاتب هادئ وهو واقف أمامها على بعد خطوة:**

**_ (هنا)، هل أنا من أدخل أمك السجن؟ هل أنا من ظلمها؟ هل لي دخل في حكم سجنها؟**

**هل كنت أعرفكم قبل أن تأتي لتنفيذ الحكم عندي؟ ألم أستقبلك طيلة عام في مكتبي وخالفت كل القوانين شفقة**

**على حالك وتعاطفا مع أمك،**

**ألم أساعدك عندما طلبتِ مني أن أسمح لك في مقابلتها يومياً قبل الامتحانات وبعدها.**

**ألم** تسيئوا **إليّ وتطعنوا في شرفي وأخلاقي بتصرفكم المفاجئ، عندما تركتموني أنتظر في مكتبي مثل الأبله ولم تأتِ، وفاجأتموني بوجودك في الزيارة دون أن تعيروني أدنى اعتبار وتخبروني قراركم مسبقاً.**

**ألم أتغاض عن فعلتكم وحاولت إقناعكم بالعودة ولكنكم عاندتم وأهنتموني.**

**نعم أنا أخطأت في حقكم وعاملتك بعنف ولكن ألم أكفّر عن خطئي بالسعي لإخراج أمك من السجن حتى نجحت في ذلك،كيف تنظرين إليّ هذه النظرة؟ كيف؟ (ولمعت عيناه بالدموع)**

**نظرت إليه نظرة فارغة كأنّها لم تفهم شيئاً وقالت: آسفة.**

**انفعل: لا تعتذري،**

**أرجوك لا تعتذري. فقط أخبريني لماذا؟ لماذا أنا سيء في نظرك؟ (لم ترد عليه)**

**_ابتلع ريقه بصعوبة وسألها: هل تكرهينني؟**

**_ نظرت إلى الأرض: لا.**

**_ هل تحبيني؟ (لم تجب)**

**_ (احتضنها وتنهد): من فضلك لا تخافي منّي؟ أنا لا أستطيع أن أؤذيكِ أبداً.**

**لو أستطيع لفعلتها تلك الليلة، لكنّي أحبك، أكثر مما تتصورين.**

**تمتمت وهي في أحضانه: ولكنّك فعلت،**

**لكنه لم يفسر كلامها، ابتعد لينظر إلى وجهها،**

**_ وسألها: ماذا قلتِ؟**

**_ لا شيء، لن أخاف منك بعد اليوم.**

**ابتسم لها، فابتسمت، فمال ليقبل وجنتها، فتركته.**

**_سألها باسماً: الآن، هل آخذ ملابسي إلى الغرفة الأخرى أم أتركها؟**

**قالت بحذر: ابق...(ابتسم) فأكملت، ويمكنني أنا أن أذهب إلى الغرفة الأخرى**

**فضحك من أعماق قلبه وتأوه وأمسك بذقنها وقال:**

**_(هنا)، ستتعبينني كثيراً معك، أليس كذلك؟ ولكنّي سعيد.**

**ومال وقبلها على وجنتها الأخرى وذهب إلى خزانة الملابس وحمل بعض ملابسه وخرج، فجلست على السرير ثم تمددت عليه وابتسمت وأغمضت عينيها، شعرت به يعود فتحت عينيها ولكنها لم تقفز جالسة كالعادة ولم تتحرك، فابتسم:سأحتاج ثلاث او أربع جولات كهذه لنقل الملابس هل تساعديني؟**

**ابتسمت ووقفت: ولم لا؟**

**عندما عادت هدى إلى المنزل كان المساء قد حلّ، وكانت (هنا) أعدت طعاماً للعشاء وانتهى توفيق من ترتيب ملابسه في غرفته الجديدة، كان حريصاً أن ينهي كل شيء قبل وصول هدى، تناولوا الطعام ثم**

**صعدت هدى و(هنا) لترتب ملابسها وما أحضرته معها من بيتها، وظلت (هنا) تحتضن هدى كل خمس دقائق وتقبلها وتقول**

**أمي، أنا سعيدة بوجودك معي، أنا أحبك؛ فتربت هدى على ظهرها وتقول وأنا أيضاً، بعد أن انتهين تقريباً من الترتيب استعدت هدى للنوم وجلست على الفراش، جلست (هنا) على حافة السرير وهي لا تتوقف عن الكلام حتى قاطعتها هدى:**

**_هيا اذهبي إلى غرفتك أريد أن أنام وأرتاح.**

**_اقتربت (هنا) لتجلس بجوار هدى: سأنام بجوارك اليوم.**

**_ ضحكت هدى: لا، السرير ضيق وأريد أن آخذ راحتي، هيا اذهبي.**

**_ماما، دعيني أنام جوارك لقد اشتقت للنوم جوارك.**

**_ هيا يكفي دلالاً، اذهبي إلى غرفتك وإلا ذهبت من الصباح الباكر إلى بيتي.**

**_لا، لا (ردت هنا بسرعة) تصبحين على خير. (وقبلتها على وجنتيها وأطفأت النور وخرجت)**

**مرت على غرفة توفيق وهي عائدة إلى غرفتها، كان الباب مفتوحاً، وتوفيق يجلس على كرسي مواجه للباب، فترددت قليلاً ثم اقتربت من الباب وقالت ذوقاً:**

**_ أنا ذاهبة للنوم هل تحتاج شيئاً.**

**رد مبتسماً: نعم**

**_توترت (هنا): ماذا؟**

**وقف توفيق واتجه نحوها بهدوء: أريد أن تضعيني في الفراش وتتمني لي أحلاماً سعيدة**

**احمرّ وجهها وابتسمت وذهبت إلى غرفتها دون أن ترد، حضر خلفها توفيق بعشر دقائق تقريباً وطرق على**

**الباب فسمحت له بالدخول، دخل وأغلق الباب خلفه ونظر إليها وهو يبتسم وكانت تقف بجوار خزانة الملابس فنظرت إليه بترقب.**

**_قال بمرح واستمتاع: إذا كنت لا تريدين أن تضعينني في الفراش اسمحي لي أن أضعك أنا وأتمنى لك أحلاماً سعيدة.**

**تحركت بهدوء نحو السرير وهي تقول:**

**_لا داعي سأنام عادي.**

**ودخلت تحت الغطاء سريعاً وتمددت.**

**جلس على طرف السرير باسماً: اتركيني أفعل ذلك كل ليلة ومن اليوم فهو يسعدني.**

**_ضاقت عيونها وتساءلت: ماذا؟**

**_ أن أتمنى لكِ أحلاماً سعيدة، (سكتت) فقال: تصبحين على خير (وقبّل جبينها وغادر).**

**استيقظت (هنا) في الصباح لتجد وردة قرنفل قرمزية اللون بجوارها على الوسادة، أدارت وجهها في الغرفة ثم أمسكتها وابتسمت ثم استنشقت عبيرها ثم تركتها على الوسادة وذهبت الى الحمام وغيّرت ملابسها و**

**تناولت الوردة وراحت إلى غرفة هدى لتجدها مازالت نائمة فتمددت بجوارها واحتضنتها وبعد فترة استيقظت هدى فابتسمت لها وسألتها: ماذا تفعلين؟**

**_جلست (هنا): أنتظرك لكي نفطر سوياً.**

**_أين توفيق ؟**

**_ذهب إلى العمل.**

**أعطت والدتها الوردة،صباح الخير.**

**ابتسمت لها، صباح النور.**

**قامت هدى إلى الحمام بينما نزلت (هنا) لإعداد الإفطار فوجدت الخادمة في المطبخ فتعرّفت عليها وعلى أسلوب عملها وعلمت أنها تأتي يومياً في العاشرة صباحاً لتعد الغداء وتنظف البيت وتغادر في السابعة بعد**

**عودة توفيق بساعة لكي تضع له الطعام وتعرف ما يريده في اليوم التالي، وسألت (هنا) هل هناك تغيير تريده بخصوص مواعيدها أو أسلوب العمل فردت عليها (هنا) طالما المواعيد هذه مناسبة لك فلتستمر كما هي، شكرتها الخادمة على مراعاتها لها وتعهدت لها بالإخلاص في العمل.**

**عندما نزلت هدى كان الإفطار جاهزاً على المائدة فطلبت من (هنا) أن تنقله إلى الطاولة الموضوعة في الحديقة، واتفقتا طالما الطقس جيد على تناول الطعام في الحديقة.**

**بعد الإفطار ذهبت (هنا) الى كليّتها لترى جدولها وتعرف ما فاتها، وفى المساء بعدما انتهوا من العشاء سويا، أعطى توفيق هدية لهدى، عبارة عن مجموعة كتب متنوعة وقال:**

**_لا أعرف ذوقك في القراءة فاخترت كتباً منوعة أرجو أن تعجبك وتجدي فيها ما يسليك.**

**فرحت هدى بالهدية كثيراً وشكرته بصدق ودار بينهم نقاش حول الكتب وما تفضله هدى وما يهتم به توفيق وشاركت (هنا) في الحوار، لاحظ أن ذوق (هنا) تماماً مثل ذوق هدى تقرأ بالفرنسية، الرواية والشعر وكاتبهم المفضل هو (فيكتور هوجو) وعلقت هدى: كنت أتذكر البؤساء كثيراً وأنا في السجن، ثم ابتسمت:**

**_ الآن أفضّل ان أقرأ باللغة العربية، أريد أن أعوض ما فاتني، وأقرأ كل الروايات لكل الكتاب المشهورين.**

**_وسألت توفيق: ما هي الكتب التي تفضّلها أنت.**

**_أنا أقرأ في التاريخ عادة والسياسة والقانون ولكني قرأت أيضاً معظم الروايات والقصص العربية والعالمية الشهيرة طبعاً المترجمة أنا لست مثلكم متمكناً في اللغات(وضحك)**

**_فعلقت هدى ضاحكة: إذن تستطيع أن تساعدني باختيار الروايات العربية لقراءتها.**

**_ تحمّس توفيق: اتركي الأمر عليّ، سأحضر لكِ كل أسبوع كتاباً ما رأيك؟**

**_رائع. (ردّت هدى بحماس)**

**_ عندي اقتراح: نختار ساعة كلّ يوم للقراءة، وكلّ يوم يقرأ واحد منّا.**

**فهمت هدى ما يحاول توفيق فعله فقالت بحماس فكرة جميلة، و(هنا) صوتها جميل في القراءة وإلقاؤها مميز، أحبّها وهي تقرأ.**

**_ ابتسمت، وأنا أقرأ فقط يا ماما.**

**_ ردّ توفيق وهو ينظر إليها بهيام: من يعرفك يحبّك دائماً.**

**ثم وضع يده في جيبه واخرج هدية أخرى لـ(هنا) وأعطاها إياها وطلب منها أن تفتحها، كانت عبارة عن عقد من الذهب الأبيض والأصفر على شكل حبات تشبه العنب، أعجب هدى كثيراً وأمسكته من يد (هنا) وقالت تحفة وردته إلى توفيق قائلة :**

**_ هيا ألبسْ زوجتك هديتك.**

**تناوله توفيق من يدها بابتسامة عريضة ووقف لكي يلبسه (لهنا)، وبعد أن ألبسها إياه طبع قبلة على خدها احمرّ وجه (هنا)، واستأذنت هدى لتنام ولكن (هنا) لحقت بها، ومثل اليوم السابق وضعتها في الفراش بمحبة لتعود لغرفتها ليضعها توفيق بحنان.**

**لاحظت هدى بعد عدت أيام أن توفيق يبيت في غرفة منفصلة عن (هنا)، فسألت (هنا)، فأخبرتها أنها رغبة توفيق.**

**_ فتعجبت هدى: ولماذا؟**

**_ردّت (هنا) ببراءة: ربما اعتاد على ذلك.**

**_تساءلت هدى: ليس هناك أيّ سبب آخر؟**

**_ردت(هنا)بسذاجة: وأيّ سبب آخر يمكن أن يكون؟**

**لم ترتح هدى لردّ (هنا) فذهبت في المساء إلى توفيق في غرفة المكتب وسألته بحذر: لاحظت أنك و(هنا) لا تتشاركان نفس الغرفة لماذا؟ هل حدث شيء؟**

**احمرّ وجه توفيق وترك كرسيه ووقف وأعطى هدى ظهره، بينما استدركت هدى: لا أقصد التدخل في أمورك الخاصة ولكن كنت أتساءل فقط: هل هناك مشكلة؟ هل ضايقتك (هنا) في شيء؟**

**عاد توفيق وجلس أمامها بعد أن هدأ وجهه وقال: لا أعتبرها تدخلاً على الإطلاق، ولم تخطىء(هنا) في شيء، لكنّي شعرت أنّه من الأفضل أن أترك لها حيّزاً من الحريّة، فهي لم تعتد بعدُ فكرة الزواج، وأعتقد أنكِ كنت محقة عندما طلبتِ تأجيل الزواج إلى انتهاء الدراسة، فتحت هدى فمها لتتكلم ولكن توفيق لم يعطها فرصة.**

**_ولكن هذا خطئي أنا، وأنا كفيل بإصلاحه بالتدريج، وإن كنت أرجو مساعدتك، بخلق نوع من الروتين اليومي، يجمعنا نحن الثلاثة سوياً مثل فكرة القراءة ومشاهدة التلفاز مثلاً وهكذا...**

**حتى تعتاد (هنا) على وجودي في حياتها، ولا تشعر بأنّي عبء عليها أو أنّي دخيل بينكما.**

**_أومأت هدى برأسها، عندك حق، سأساعدك.**

**_ المهم لا تحاولي على الإطلاق فتح حديث معها عنّي، ولا تعنفيها أبداً بسببي، ولا تضغطي عليها في أيّ شيء يخصني، لأنّها عنيدة وسوف تكرهني لذلك.**

**تنهدت هدى: نعم، إنّها مثل الأطفال، أذكر أنّي عنفتها مرة من أجل تأخرها عن ميعاد أعطته لزميلتها في المدرسة، فقطعت علاقتها مع زميلتها نهائياً، ولكنّها لم تتأخر عن ميعاد بعد ذلك أبداً.**

**_ لا أرجوكِ، فلتتأخر كما تشاء، سأنتظرها لآخر العمر، (وضحك وضحكت )**

**تمتمت هدى وهي تخرج من الغرفة: الحمد لله إنّه الرجل المناسب لـ(هنا) من كان يستطيع تحمّلها مثله، الآن اطمئن قلبي عليها.**

**مرّت الأيام بعد ذلك هادئة، بعد انتظام (هنا) في الدراسة، حاول توفيق بمساعدة هدى أن يصنع نوعاً من الروتين اليومي في حياته، يجمعه مع (هنا) لكيلا تعزله وتدفع به خارج حياتها، فأصبح يجهز الإفطار بنفسه كلّ صباح فهو يستيقظ مبكراً قبل الجميع، فيتناول إفطاره مع (هنا) أو معهما إذا**

**استيقظت هدى باكراً، ونصّب نفسه منبّهاً (لهنا) يوقظها كل صباح بنفسه ويضع قبله رقيقة على جبينها ووردة قرنفل على وسادتها.**

**وتبعاً لجدول مواعيد محاضرتها كان يخطط يومه؛ كان أحيانا يوصلها الى الجامعة قبل الذهاب إلى عمله إذا كان لديها محاضرة مبكرة أويأتي ليعيدها معه إلى البيت إذا كان لديها محاضرات متأخرة، وكذلك صنعت (هنا) لنفسها روتين هي الأخرى، فلابدّ أن تذهب إلى غرفة هدى كل صباح لتتمدد جوارها لفترة وتحتضنها وتقبلها وتترك الوردة لها قبل الإفطار، فإذا استيقظت تناولت معها الإفطار، وإذا قررت النوم تركتها لتنام ولكن بعد أن تعطيها دواء الصباح، فلا تشعر (هنا) بالاطمئنان إلا عندما تعطيها الدواء بيدها لتتأكد أنها أخذته.**

**ونجحت ساعة القراءة اليومية في أن تفتح باباً للحديث بين توفيق و(هنا) كما ساعد اشتراكه في نادي رياضي قريب من منزله على بعض التقارب البدني عندما يسبحا معاً. واشترى توفيق تلفازاً كبيراً ووضعه في البهو جوار الشرفة لكي يجلسوا سوياً كل مساء على الكراسي المريحة ويتابعوا مسلسل التاسعة مساء، كما عدّل توفيق من مواعيد عودته من العمل ليرجع الخامسة وأحياناً الرابعة.**

**كانت حالة (هنا) مع أمّها تشبه كثيراً حالة القطط الأليفة مع أصحابها، دائما تحوم حول أمّها تنام في حجرها،**

**تحتضنها باستمرار تقبلها في كل وقت، لا تأكل إلا معها، لا تنام إلا بعد أن تطمئن عليها، لا تخرج من البيت إلا بعد أن تحتضنها وتقبلها حتى وإن كانت نائمة، تغدقها بالكلام العذب تردده على مسامعها دائماً (أمي أحبك بالعربية والفرنسية Je t'aima)**

**لترد عليها هدى (وأنا أيضاً J'aime aussi) لم تكن (هنا) على مثل هذه الحال من الوله بأمّها قبل دخولها السجن ولا حتى بعد دخولها، لكن ربما وصلت إلى هذه الدرجة بعد محنتها مع توفيق ومعرفتها بمرض أمّها فأصبحت تخشى عليها من الهواء، تخشى أن**

**تنام وتتركها فتستيقظ لتجدها غابت عنها، لذلك لا تستطيع النوم إلا بعد أن تتأكد أن هدى نائمة بصحة وسلامة، ولا تتحرك في الصباح إلا بعد أن تطمئن أيضاً على صحتها وعافيتها.**

**ربما توفيق ملوم على هذه الحالة وربما شارك فيها بشكل أو بآخر دون أن يدري، ولكنّه كان يشعر بالضيق والغيرة من هدى عندما يرى (هنا) في أحضانها وفي حين آخر كان يشعر بالحزن على (هنا)ويشفق عليها ويتألم قلبه لما عانته من مآسي في الفترة السابقة ويقدر حبّها لأمها، لأنّه يشعر نفس الشعور تجاهها ولكنّه لا يستطيع أن يقترب منها أو يحتضنها مثلما تفعل، ولكنّه ينظر إليهما ويتمنى أن يكون مكان هدى في أحضان حبيبته أو الأولى تكون (هنا) في أحضانه، ولكنّه تعلم أن يقنع بالقليل وهو رؤيته (لهنا) كل يوم.**

**قنعت (هنا) أيضاً بحياتها الجديدة وتقبّلت تدريجياً وجود توفيق، وأصبحت تعامله بلطف وتتجاذب معه أطراف الحديث عندما يوصلها للكليّة أو يعيدها، ولكنّ كلّ ذلك لم يغيّر من حقيقة أنها تعتبره ضيفاً على حياتها وظلّت تحصن الحاجز العالي الذي بُني بينهما من يوم أن منعها زيارة والدتها في السجن، ومع ذلك لم يفقد توفيق الأمل بل ظلّ مثابراً على عزمه.**

# المشهد السادس

**فُتح باب الأمل عندما رفع توفيق سماعة الهاتف ليرد عليه ذات مساء فإذا بصوت ابنة عمه نور، كانت قد تزوجت وهاجرت إلى السويد منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، وعادت منذ أيام في زيارة قصيرة لأختها فاطمة، لم يصدق توفيق أذنه عندما سمع صوت نور، فقد كانت أول من أعجب به من النساء، وفكر في الزواج منها، وطلبها بالفعل، ولكنّها رفضت وبعد شهورٍ معدودة تزوجت وهاجرت مع زوجها، بالطبع تضايق توفيق لذلك، لكنّه سرعان ما نسي الموضوع جملةً وتفصيلاً مع الأيام، وأصبحت الذكريات تدعوه للابتسام أكثر من أي مشاعر أخرى، فعندما قابلها بعد عام في عزاء والده شعر كأنّها أخته ولقد كانت دائما أقرب أبناء عمومته إليه وكان يشاركها همومه وطموحه، قبل أن ترفضه وتتزوج غيره، أخبرته أنها نزلت ضيفة على أختها الصغرى فاطمة ودعته إلى المجيء لتسّلم عليه.**

**فذهب في المساء وجلسوا سوياً بعد العشاء مع فاطمة وأبنائها ثم أخذت فاطمة أبناءها لتذاكر لهم بينما جلس توفيق مع نور في شرفة الشقة المطلة على النيل يشربون الشاي ويتبادلون الأخبار، فعاتبته قائلة:**

**_كيف تتزوج ولا تبعث إليّ بخبر؟**

**_وكيف أفعل ذلك وأنت في السويد.**

**_ألم تجد هاتفاً لتتصل بي، أو تبعث إليّ ببرقية تدعوني فيها لحضور زفافك.**

**_ وهل كنت ستنزلين مصر مخصوص من أجل ذلك؟**

**_نعم، ولمَ لا؟**

**_لا، بالطبع لن تفعلي، هل الإجازات عندكم بهذه السهولة، من تخدعين؟**

**_ليس لك شأن، كنت أرسل الدعوة، وأنا لا أحضر، ولكن ألا ترسل، فشيء آخر.**

**_هل تخفي عنا زوجتك؟ أم تخفينا عنها؟ هل تخشى أن نفضح أسرارك لها؟**

**_ضحك توفيق، وهل لي أسرار، إنّك لا تتغيرين أبداً يا نور ما زلت مشاغبة.**

**_أليس من أجل ذلك كنت تريد أن تتزوجني.**

**_ضحك توفيق، هل ما زلتِ تذكرين؟**

**_وهل هذا شيء ينسى، هل تعرف؟ لقد كنت أشعر بالذنب طوال هذه السنوات، كنت أخشى أن أكون أنا السبب في عدم زواجك.**

**_ تنهّد توفيق، لا، لست أنت السبب ولكنك جزء منه، لأنّي عندما رأيتك بعد زواجك شعرت بأنّك محقة في رفضي، فأنت أقرب صديقة لي، بل أنت صديقتي الوحيدة، وليس لي أصدقاء غيرك، كان زواجنا سيصبح مملاً وأنت لا تستطيعين أن تتحملي الملل فأنت مشاغبة، كنت سأخسرك عندها وأنا أحتاجك أختاً وصديقةً، ورفضت أيّ زواج تقليدي وانتظرت الحبّ مثلك، لأنّي شعرت بسعادتك في زواجك.**

**_أفهم من ذلك أنّك تحب زوجتك.**

**_نعم أحبّها (قالها بشجن)**

**_لماذا تبدو حزيناً وأنت تقولها.**

**_ لا شيء، لا تشغلي بالك.**

**_كيف لا أشغل بالي؟ ألم تقل منذ قليل أنني أقرب صديقة لك، لماذا لا تخبرني بما يضايقك؟**

**_ربما أخبرك ولكن ليس الآن.**

**_ أنا لن أبقى في مصر أكثر من أسبوعين، أنت تعلم أنني لا أستطيع أن أتغيب عن العمل والأولاد أكثر من ذلك، ولولا شعوري بتعب فاطمة بعد موت زوجها لما نزلت في هذا التوقيت بتاتاً.**

**ألن تدعوني للتعرف على زوجتك.**

**_بالطبع أنت مدعوة لقضاء يوم الجمعة القادم كله معنا.**

**_ وهو كذلك أنا أتشوق لكي أتعرف على من سرقت قلبك بعد زهد سنين.**

**أخبر توفيق (هنا) وهدى عن ابنة عمه ودعوته لها لقضاء يوم الجمعة معهم وأنهم لن يذهبوا إلى النادي وسيقضون اليوم في البيت للاحتفاء بها، فلم تعترض (هنا) ورحّبت هدى بالأمر.**

**عندما حضرت نور إلى البيت كانت تحمل هدية لـ(هنا) ودخلت البيت بابتسامة عريضة، واستقبلتها (هنا) على الباب ورحّبت بها بحفاوة فعلقت نور:**

**لم أتوقع يا توفيق أن ذوقك تحسّن إلى هذه الدرجة، إنّ زوجتك غاية في الجمال.**

**ابتسمت لها (هنا) وشعرت نحوها بالألفة وعاملتها بتلقائية وود، سعد بذلك توفيق، ثم تعرّفت على هدى وانبهرت بثقافتها و وقارها وطيبتها الواضحة.**

**وفي نهاية اليوم كانت نور قد كسبت صداقة (هنا) وهدى فودعاها على الباب على وعد بزيارة أخرى قبل رجوعها إلى السويد.**

**وعندما ذهب توفيق لتوصيل نور إلى بيت أختها، صارحته برأيها في حياته:**

**_ توفيق ما الذي يحدث بالضبط في حياتك؟ إنك على عكس ما تحاول أن تظهره.**

**أنا لم أشعر بدفء ولا تفاهم في هذا البيت إلا بين (هنا) وأمها، لا يوجد أيّ تواصل بينكما على الإطلاق، ما هي المشكلة؟**

**ارتبك توفيق واهتزت عجلة القيادة بين يديه فطلبت منه نور أن يجلسا سوياً في مقهى على النيل ليتحدثا قليلاً، وكان هو في أشدّ الحاجة إلى من يتحدث معه ويفتح له قلبه، فوافق، وبعد أن استقر بهم المقام، سألته: ما هي**

**مشكلتك يا توفيق لماذا تتعامل مع زوجتك بحذر شديد هكذا؟**

**_تنهّد توفيق ثم قال: نور أنت أكثر من يعرفني ويفهمني على الإطلاق، أنا أخبرتك أنّي أحبها ولكنّي لا أعرف إذا كانت تحبني أو تكرهني.**

**_اندهشت نور وقالت تكرهك! لماذا تكرهك؟ هل هناك من أرغمها على الزواج بك.**

**أنا تصورت أنّها بالضرورة تحبّك نظراً لفارق العمر الواضح بينكما، وهذا الدافع لزواجها منك، إنها تبدو ميسورة الحال فلن يكون الدافع هو المال.**

**_صمت توفيق ثم قال بتردد: الموضوع معقد نوعاً ما وأنا في الحقيقة لا أعرف لماذا وافقت على الزواج مني ؟**

**_ لماذا لم تسألها؟**

**_ ألم أقل إن الوضع معقد؟**

**_كيف؟ أنا لا أفهم، هل حماتك هي المشكلة؟**

**_ هدى إنها صديقتي وسندي، إنها من يدفعني للأمل والاستمرار في المحاولة وتساعدني على التقرب من (هنا).**

**_ أنا لا أفهم أيّ شيء، أرجوك اشرح لي الموضوع بالتفصيل من البداية للنهاية.**

**_صمت يفكر قليلاً ثم قال: سأحكي لك كل ما حدث، وأرجو أن لا تغيري صورتي في نظرك بعد ذلك، ولكني أحتاج إلى مشورتك فاسمعيني جيداً، لأنّي سوف أصدمك نوعاً ما، ولكنّي سأقول الحقيقة كاملة.**

**وانبرى يحكي ما حدث من بداية رؤيته لـ(هنا) إلى اتصال نور.**

**ظلت نور صامتة بعد أن انتهى من الكلام، ووضعت يدها على جبينها وفركته:**

**لقد ظلمت نفسك يا توفيق، ما قلته الآن يفسر الكثير مما شاهدته اليوم.**

**_تساءل بلهفة: ماذا فهمتِ؟ هل تحبني (هنا) أم تكرهني.**

**_ توفيق أنا لا أستطيع أن أعرف إذا كانت زوجتك تحبّك أم تكرهك من زيارة واحدة، أنا لست (فرويد) وأعتقد أن (فرويد) نفسه لن يعرف، بل ربما زوجتك نفسها لا تعرف حقيقة مشاعرها تجاهك، لكنّ المؤكد والواضح حبّ زوجتك لأمّها، أنا لم أرَ فتاة تحبّ أمها مثل (هنا) إنّها في حركتها وكلماتها وتفكيرها تدور حول أمّها بشكل واضح جداً، شعرت حقاً كأنّها فراشة وأمها الضوء وهي لا تكتفي من الدوران حولها.**

**لقد رأيت حماتك تشير بيدها وهي تتكلم معي وإذا (بهنا) تضع كوب العصير في يدها، لقد فهمتها دون أن تتكلم.**

**ولاحظت عندما استأذنت وعادت ومعها شال ووضعته على كتف أمّها وهي تقول إن هناك نسمة هواء باردة، وتُقبلها باستمرار وتحوطها بمحبتها واهتمامها كما لو كانت تريد أن ترفعها عن الأرض.**

**حتى هدى كانت تستحي من اهتمام (هنا) بها أمامي وتحاول مدارة ذلك ولكن (هنا) لا تداري شيئاً إنّها حنونة ومتفانية ولا تستحي من إظهار محبّتها.**

**_حرّك توفيق رأسه موافقاً: هذه هي (هنا) هذه حالتها طوال الوقت وأنا دائما على هامش حياتها، ضيف أحياناً ثقيل وأحياناً مرحب بي، ما العمل؟ ماذا أفعل؟**

**_لابدّ أن تتخلى عن حذرك وتباغتها وتقتحم حياتها، لا يمكن أن تظل هكذا تنتظر أن تفتح لك أبواب قلبها، لن يحدث ذلك.**

**إنّك تخاف أن تقترب منها لماذا؟ لا أعرف، إن ما قصصت لا يبرر خوفك هذا.**

**هناك شيء لم تفهميه يا نور، إن (هنا) عنيدة فإن حاولت اقتحام حياتها ستنفر منّي وتبتعد أكثر وربما تكرهني.**

**يا توفيق أنا لا أقصد بأن تقتحمها أن تفرض عليها نفسك أو أن تعاملها بعنف، أنا أقصد أن تتحايل عليها تدللها تداعبها، إنها في النهاية امرأة ولها مفتاح، ابحث عنه، تفتح باب قلبها.**

**_ مفتاحها الوحيد هو هدى، ولقد حاولت ولكن كل ما حصلت عليه هو أن أصبحت ضيفاً مرحباً به بدلاً من ضيف ثقيل، لكن لم أدخل قلبها.**

**_ أعتقد أن الحل الوحيد الذي يقلل من هوس زوجتك بأمّها هو الإنجاب، عندما تنجب طفلاً سيولد معه حبها الفطري له عندها سيدخل قلبها شخص آخر وبذلك يتسع قلبها ليتحمل دخول والد هذا المولود، وهو أنت.**

**_تنهد: كيف ذلك يا نور؟ إنّها لا تسمح لي.**

**_ وهل أنا من سيعلمك يا توفيق، بالتحايل والمداعبة حتى تبلغ المراد.**

**_أنت متفائلة كثيراً، ربما أصل لليلة واحدة إلى المراد ثم في الصباح أكون في قائمة الأعداء، وربما إذا حملت تعتبر الجنين من ضمن الأعداء.**

**_تعجبت نور: لماذا؟**

**_ لأن (هنا) من خلال خبرتي معها هي عكس كل تفكير منطقي لي إنّها مثل صورة مرآة معكوسة.**

**أعتقد أنّها سترى ما أفعله محاولة لإلهائها عن أمّها وأن الوليد مجرد أداة إلهاء وبذلك تكرهه وتكرهني وربّما تكره نفسها لأنّها سمحت لي يوماً بالاقتراب منها.**

**إنّها تعتقد أنني سأدخل أمّها السجن لو رفضت لي طلباً ولا تتحمل أن أدخل معها غرفة النوم وتضطرب.**

**_ توفيق إنّ حالتك صعبة جداً لن تتقدم خطوة وأنت تفكر بهذا الأسلوب، لابدّ أن تتجرأ وتتخذ موقفاً، لأنّ الحياة لا تعطي صاحب الآمال بل صاحب الأعمال. وكما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:**

**وما نيل المطالب بالتمني إنما تؤخذ الدنيا غلابا**

**لابدّ أن تفعل شيئاً جريئاً لأنّ ما أعرفه أن المرأة تفضل الجريء على الحَذِر، لا يمكن أن تظل خائفاً هكذا إن الخوف يقتل أيّ شعور آخر، لابد أن تتحرر منه.**

**_ هتف توفيق: نعم لقد وضعتِ يدك على بيت القصيد، إنّها تخاف منّي، لذلك أنا لا أعلم، عندما تقول شيئاً أو لا تقوله، هل هذه حقيقة مشاعرها أم أنّها خائفة، أخشى أن تسمح لي بالاقتراب منها خوفاً وليس رغبة، خوفها يجعلني أخشى أن أكون أرغمها على شيء تكرهه وأؤذيها دون أن أدري، أنا لا أريدها أن تتعذب بسببي أكثر من ذلك.**

**_ توفيق لا بدّ أن تكسر حاجز الخوف عندك وعندها، فما الذي يمكن أن تخسره، الآن أنت ضيف ولو كسرته ستتحول إلى ضيف ثقيل المهم أنّك ستظل بحياتها، ولكنّك ستعيش حياة حقيقية غير التي تعيشها الآن.**

**إن من يراك يحسدك على حياتك، فعندك بيت جميل وزوجة شابة فاتنة وحماة طيبة، ولكنّ الحقيقة أنّك مسكين ومُعذب، كم هي خادعة المظاهر!**

**توفيق حاول** أن تطمئن **زوجتك أنّك لا تحاول أن تبعدها عن أمّها وأنّك موافق على أن تكون جزءاً من حياتها على أن تكون أمّها كل حياتها.**

**ألم تقل أن مفتاح (هنا) أمّها اطلب منها مساعدتك في إقناع (هنا) بالإنجاب، اصنع الفرص بنفسك وامشِ خلفها ستصل بالضرورة إلى شيء ولكن تراجعك هذا لن يساعدك في شيء.**

**أوصل توفيق ابنة عمه وراح يفكر وهو عائد إلى منزله كيف يمكنه أن يصنع الفرص بيده.**

**مرّت الأيام تباعاً واقترب الأمل من قلبه عندما قامت إحدى صديقات (هنا) بمداعبتها أمامه قائلة:**

**_إن حظك رائع يا(هنا) لحصولك على مثل هذا الزوج اللطيف، يوصلك بنفسه في الغدو والرواح.**

**ظهر الضيق على وجه (هنا) وعندما انصرفت صديقتها قالت بحزم: ليس هناك داعي كي تتحدث إلى صديقاتي ولا أن تضحك معهم.**

**رأى توفيق لأول مرة شبح الغيرة يعبر من خلال (هنا) فأحس أنّه اقترب من نيل المنى، وظنّ أنّ هذه هي الفرصة التي تكلمت عنها نور.**

**تعمّد توفيق بعد ذلك التحدث إلى صديقتها هذه بل ودعاها إلى الغداء عندهم في البيت:**

**لماذا لم تزورينا ولا مرة من بداية الزواج إلى الآن ألست صديقة (هنا) ولا بدّ أن تزوريها في بيتها**

**_ لأنّ صديقتي بخيلة ولم تدعني.**

**_ زوجها غير ذلك، ويدعوكِ اليوم للغداء ما رأيك؟**

**_اليوم لا أستطيع.**

**_ غداً إذاً، ما رأيك ؟**

**_موافقة على أن توافق (هنا) فإنّها تبدو غير متحمسة.**

**ونظرت الى (هنا) بخبث فردّت (هنا) عليها بابتسامة باردة.**

**بينما أسرع توفيق بالرد:**

**_ كيف ذلك ؟! إنّها متحمسة جداً وهي من ستطبخ لكِ غداً.**

**التفتت إليه (هنا) ورمقته بنظرة حادة وضاقت عينيها، فأنهى توفيق الحديث سريعاً قبل أن تتهور وتقول شيئاً يبطل خطته.**

**عندما حضرت صديقتها اضطرت (هنا) أن تعاملها بلطف لأنّها في بيتها ولكيلا تتضايق منها أمّها لو تعاملت ببرود ولكنّها بالطبع لم تطبخ شيئاً بل الخادمة من طبخ كالعادة.**

**أفرط توفيق في الحديث مع الفتاة والضحك على المائدة أثناء الطعام وبدا على (هنا) الضيق بينما فهمت**

**هدى ما يحاول توفيق فعله فساعدته، وطلبت من الفتاة أن تقضي معهم يوم الجمعة في النادي فوافقت الفتاة بترحاب شديد، بينما اغتاظت (هنا) ولكن لم تنطق، فهذه رغبة هدى.**

**عندما جاء يوم الجمعة تقابلوا مع الفتاة على باب النادي وظلّ توفيق يدلل الفتاة طوال اليوم ويضحك ويتحدث معها، وكانت الفتاة مرحة وجريئة على نقيض (هنا) في كل شيء، فأخذت تميل على توفيق وتضرب يدها على يده بكل أريحيّة كأنّها تعرفه منذ زمن.**

**تضايقت (هنا) كثيراً ولم تستطع تجاهل ما يحدث وظلّت تراقبهم على الرغم من أنّها لم تحاول التدخل أبداً في حديثهم ولم تترك أمّها لثانية واحدة، وفي نهاية اليوم سلّمت الفتاة على توفيق وقالت له أمام الجميع: لم أكن أعرف أنّك خيف الظل هكذا وصحبتك حلوة، واحتضنت (هنا) وقبلتها بينما حاولت (هنا) أن تبدو لطيفة وتقبلها ولكنّها لم تستطيع.**

**همست لها الفتاة: إنّ زوجك رائع انتبهي عليه جيداً فربما خطفته منك أخرى ونظرت إليها نظرة ذات معنى وهي تبتسم.**

**كرهتها (هنا) عند هذه اللحظة وقررت قطع علاقتها بها، أليست هذه (هنا) ؟! لا تعرف الحلول الوسط، الحياة عندها أبيض وأسود، ذهب توفيق ليوصّل الفتاة بسيارة (تاكسي) بعد أن ترك (هنا) وهدى في السيارة مع سائقه ليوصلهم للبيت.**

**رجع للبيت متأخراً، وقد تعمّد ذلك فوجد (هنا) تجلس على أحد كراسي الصالون أمام مدخل البيت وتنتظره.**

**_اصطنع الاندهاش: (هنا) ماذا حدث لماذا تجلسين هكذا؟**

**_ردت (هنا) بغيظ مكتوم: أنتظرك، أين كنت إلى الآن؟**

**_ كنت أوصل صديقتك لبيتها.**

**_حقاً، الطريق إلى بيتها والعودة إلى هُنا لا يأخذ أكثر من ساعة ولقد تأخرت ثلاث ساعات أين كنت؟**

**_ حاول توفيق أن يخفي ابتسامته: الطريق كان مزدحماً فتأخرت ليس إلا، ثم إنّك أول مرة تسألينني أين كنت؟**

**_ ردّت بحزم: وآخر مرة، كل ما هنالك أنّي أريد أن أتحدث معك وانتظرتك كثيراً ومللت.**

**_ اعتذر لها وهو يبتسم.**

**_ فتجاهلت ابتسامته: أرجو منك ألا تحاول أن تتقرّب إلى أي من صديقاتي مرة أخرى ولا تدعُ أياً منهم إلى البيت.**

**_ تصنّع الاستغراب ولماذا؟**

**_ لأنّي لا أحب أن أدخلهم إلى حياتي، وعلاقتي بهم كلهم سطحيّة، ولا أريدك أن تقحمهم في حياتي بدعواتك ولا بلطفك الزائد معهم، أرجو أن تحترم رغبتي، وشكراً.**

**وتحركت لتصعد السلم فتحرك خلفها وأوقفها**

**_(هنا) هل هذه غيرة؟**

**_ضحكت (هنا) نصف ضحكة: غيرة، أنا لا أعرف معناها.**

**_فردّ: أنا أعرف.**

**وضمّها إلى صدره فحاولت الابتعاد فلم يسمح لها وبعد فترة من المقاومة توقفت عن المحاولة وأخذ يحرك وجهه على رأسها ويقبله كما تقبل الأم وليدها وشعر بعد فترة وكأنّ (هنا) تستمتع بوجودها في أحضانه، فبقيا على هذه الحال لفترة حتى ظنّ أنّها ربما تعبت من الوقوف فأبعد رأسه لينظر إلى وجهها وتساءل:**

**هل تصالحنا.**

**_ابتسمت له، وقالت :هل ستدعو أحداً بعد ذلك.**

**_ضحك من أعماق قلبه: لا، لن أفعل.**

**_فردّت مبتسمة: تصالحنا.**

**شعر توفيق بعد هذه الليلة أنه يقترب من قلب (هنا) لقد أصبحت تهتمّ به وتغار عليه ربما هي لم تعِ حتى الآن أنّها كذلك ولكنّه سوف يرشدها إلى مشاعرها تدريجياً، حتى تحبه.**

**ولكنّ (هنا) لم تغيّر شيئاً في أسلوبها معه وظلّت على روتينها ومحوره الأساسي أمها.**

**وذات يوم أحضر توفيق (قصة لا أنام، لإحسان عبد القدوس) لتكون قصة ذلك الأسبوع وربما كان يقصد منها توفيق رسالة ما ليوصلها لـ(هنا) وربما ظنّ أنه ربما يثير شيئاً ما بداخلها، وفي المساء كان دور (هنا)**

**للقراءة فأخذت تقرأ حتى وصلت بالقراءة إلى حيث تصف البطلة علاقتها بمن تحب وأنّها تنتظر قبلته الأولى، احمرّ وجه (هنا) واسترقت نظرة من توفيق وهي تقرأ ثمّ عندما وصلت حيث تحكي البطلة؛ وقوفها أمام المرآة عارية، شعرت هدى بالحرج ربما أكثر من (هنا) نفسها فاستأذنتهم لدقائق تصل فيها إلى غرفتها لحاجة لها، وظلت (هنا) جالسة كما هي على الكنبة المريحة بجوار الشرفة منتظرة عودة هدى فاقترب توفيق وجلس مكان هدى جوار (هنا):**

**_ (هنا) أنا لم أسألك من قبل هل كان لك أصدقاء من الشباب؟**

**_ ردت (هنا) بكل براءة: نعم زملائي في المدرسة والجامعة.**

**_ ضحك توفيق وقال في خبث: وهل قبّلك أحد منهم من قبل.**

**_فوقفت (هنا) وتصنعت الانفعال: أنا لا أسمح لأحد بذلك (وتحركت لكي تمشي من أمامه وتنهي الحوار)**

**فوقف توفيق وأمسك ذراعها وجذبها نحوه واحتضنها:**

**_ ولا حتى زوجك.**

**_توترت (هنا) بين ذراعيه: ماذا؟**

**قال برقة ونعومة وهو يجذب ذقنها لأعلى ليواجه وجهه وجهها:**

**_ ولن تسمحي بذلك حتى لزوجك؟**

**وضمّها إليه أكثر وانحنى ليلمس شفاهها بشفاهه بنعومة، مجرد لمسه خفيفة، فحاولت الإفلات منه قائلة:**

**_ توفيق عندي مذاكرة لابدّ أن أذهب اتركني من فضلك.**

**قرّب أنفه من رقبتها ودسّه بين خصلات شعرها واستنشق رائحتها الذكية وزفر أنفاسه الحارة ببطء ولكنّها أخذت تبعد نفسها عنه قدر المستطاع وتنكمش وتجذب جسدها بعيداً، فتركها، فجرت جرياً على السلالم وذهبت الى غرفة هدى مباشرةً وهذا ما توقعه منها توفيق فجلس على الكنبة يراقب الطابق العلوي حتى شاهدها بعد فترة قصيرة تذهب إلى غرفتها وقد توقع ذلك أيضاً، أن ترسلها هدى إلى غرفتها، فقام إليها.**

**عندما دخل الغرفة وجدها تجلس على الكرسي أمام المكتب الذي اشتراه خصيصاً لها لتذاكر عليه بعد أن رفضت النزول للمذاكرة على مكتبه.**

**وجدها تفتح كتاباً أمامها فأغلق الباب خلفه واقترب وهو يبتسم ويقول:**

**_ماذا تذاكرين؟**

**_حضارة القرن السابع عشر (ردت باقتضاب دون أن تنظر إليه)**

**_ ضحك توفيق: كله، تذاكرين قرناً كاملاً (ووقف جوارها تماماً)**

**_ظهر الارتباك عليها: أذاكر ما وصل إلينا من القرن السابع عشر وعلى العموم هذا قرن غني بالحضارة والمعرفة ففيه ولد (وليام شكسبير–إسحاق نيوتن–لويس الرابع عشر ملك فرنسا ...)**

**وتلعثمت وسكتت حيث كانت أصابع توفيق تلعب بخصلات شعرها فأصابتها ارتعاشة فوقفت في مكانها لتمنعه:**

**_ لا أستطيع أن أذاكر وهناك من يقف فوق رأسي هكذا، سوف أذهب لأذاكر عند أمي.**

**وتحركت من مكانها وفي يدها الكتاب، فأمسك بزراعها وجذبها إليه بقوة ولكن ناعمة، وعانقها وهمس في أذنها:**

**_ وهل من الضروري أن تذاكري اليوم؟**

**لم ترد وحاولت جذب نفسها منه لكنّه تمسك بها ورفع ذقنها ونظر بداخل عينيها ثمّ قرّب وجهه من وجهها ولمس طرف أنفها بطرف أنفه فسقط الكتاب من يدها فلمس شفاهها بشفاهه بخفة ونعومة ففرجت شفتيها**

**فتناول شفتيها بين شفاهه وباشر في تقبيلها بشغف وشوق أنفاس لاهثة وبعد لحظات شعر بشفاهها تتجاوب معه فاشتعلت نيران الرغبة بداخله فحملها إلى الفراش وأخذ في تخليصها من ثيابها وهو لا يكاد يفارق شفاهها**

**لثواني ثم فعل بنفسه المثل وضمّها إليه بلهفة واندفع يتحسس جسدها بشفاهه كأنّه يتأكد أنّها حقيقة وأنّها بين أحضانه وهو يلمس جلدها الناعم بجلده وأطراف أصابعه و يتذوق منها الحنان والشوق الذى تمناه فأغمض عينيه وأخذ يتلمس طريقه بجسده ومشاعره، لا حاجة له الآن إلى النظر بل كل ما يحتاجه الآن قلب، القلب الذي لم يعد في صدره بل في كل جزء من جسده من أخمص قدمه إلى أطراف شعره ، ما هذه المتعة والنشوة إنّها تبادله الغرام إنّه أسعد أهل الأرض ضمّها بقوة أكبر كأنّه يريد أن يدخل كامل جسدها إلى داخل عظامه يريدها بداخله لكيلا تبتعد أبداً ولا يفرقهم أحد فتظل بين ضلوعه إلى الأبد، إلى الأبد، وبعد لحظة ذابت بين ذراعيه ففتح عينيه ليجد نفسه يحتضن الوسادة وهو نائم على فراشه في غرفته، فجلس على طرف السرير ومسح وجهه من العرق ثم وقف وانطلق كالسهم من غرفته إلى غرفتها، دخل عليها فوجدها نائمة في فراشها فأضاء النور واقترب منها وجلس على حافّة السرير، فضايق النور عينيها ففتحتهما متذمرة فهبط برأسه على وجهها وأحاطها بذراعيه:**

**_(هنا) لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك، لا أستطيع.**

وقبلها بشوق وشهوة ونهم ونزع عنها ملابسها بأيدي مرتعشة ملتهبة وتخلص من ملابسه، حاول أن يلاطفها ويقبلها لكنّها لم تبادله الشغف ونأت بوجهها عنه كأنّها لا تراه وكأنّه يواقع جسداً آخر بعيداً ليس لها فلم يشعر بالنشوة ولا السعادة بل شعر بالضيق والاختناق، فسحب نفسه منها، وقام عنها وجذب الغطاء من فوق الأرض وغطّى جسدها العاري كمن يداري جريمته، وذهب يغتسل في حمام غرفتها وعندما عاد كانت مستلقية كما هي مغمضة العينين بارعة الحسن فجذبته نعومتها، فاقترب من وجهها وقبل شفتيها فلم يشعر بأنفاسها فوضع خده على أنفها فلم يشعر بشيء فوضع أذنه على صدرها فلم يسمع دقات، ارتعش هزها بعنف صرخ (هنا) (هنا) لالا غير ممكن، (هنا) وشعر بقلبه ينزع من صدره، وسقط على الأرض ليفتح عينه على كرسي طاولة الطعام أمامه وصوت (هنا) يرد عليه:

_ماذا هناك؟ هل تريد شيئاً؟

ورآها تنزل على السلم وشعر بنفسه جالساً على أرض البهو فقد غفا وهو جالس على الأريكة في البهو ووجد نفسه غارقاً في عرقه ومائه، وصلت (هنا) الى حيث هو ونظرت إليه متعجبة:

_لماذا تصرخ هكذا ستزعج أمي.

اعتذر منها وهو يقف لينظر إليها، وهم أن يحتضنها ولكنّه تراجع وهرع إلى غرفته ودخل حمامه ليغتسل ويتطهر وهو لا يزال يرتعش من هذا الكابوس الفظيع.

خرج من حمامه وجلس على طرف سريره وأخذ يبكي ويتمتم:

الحمد لله إنه مجرد كابوس، لا أريد شيئاً، يكفيني رؤيتها كل صباح ومساء، سامحني يا رب واحفظها لي أرجوك، لن أتذمر بعد اليوم ولن أصنع فرصاً، أنا راضي كلّ الرضا بحياتي، وأشكرك عليها.

اتصلت نور بتوفيق اتصالاً دولياً بعد الكابوس بيوم: ربما وجب عليك يا توفيق أن تنسى كل ما نصحتك به في جلستنا السابقة، عن كسر حاجز الخوف وخلق الفرص، ربما تأثرت كثيراً بالمادية الغربية ونسيت جوهر الأشياء، لقد تذكرت بالأمس لماذا رفضت الزواج منك، لقد رفضتك لأنّي شعرت أنّك لم ترد الزواج مني لأنّك تحبني ولكن لكي ترضي عمي، كنت أريد إنساناً مستعداً أن يفعل أيّ شيء من أجلي من

أجل سعادتي وليس من أجل امتلاكي، لذلك تزوجت زوجي، وأنت فعلت ذلك من أجل زوجتك، وهذا يجعلني لا أنتقدك ولا ألومك على ما فعلته مع (هنا) عندما شعرت بأنّك تخسرها، فلولا حبّك لها لما غضبت إلى هذه الدرجة وخالفت ضميرك وأخلاقك، أنا أعرف أنك تمتلك ضميراً حياً وربما لم تفعل أيّ شيء خاطئ قبل أن تحب(هنا) بل أنا متأكدة من ذلك فأنت مثلنا نشعر بوجع الغير ولا نتحمل أن نتركهم يعانون بدون مساعدة حتى ولو على حساب أنفسنا، لقد وضحت الرؤيا بالنسبة لي، إن ما فعلته بمحاولتك امتلاكها وتدنيك إلى هذه الدرجة هو دليل على حبك، وأعتقد الآن أنّك وصلت إلى قمة الحب وأنك على استعداد بأن تضحى بحبّك من أجل سعادتها إن ما تفعله الآن في الحقيقة هو قمة الحب، وما كنت أطالبك به هو انتكاسة لا تفعلها.

**ابقَ جوارها كما هي وانتظرْ، ربما تحتاج حبّك فتطلبه عندها، قدمه لها بكل صدق وتفانٍ، وإذا لم يحدث ابقَ جوارها وتمسّك بالتضحية واعلم أنّها لو لم تطلب حبّك فهي مكتفية بحبها، لا تفكر بأنّها تحب أمّها ولابدّ أن تحبك، اعتبر أنّها تحبّ شخصاً آخر كما تحبّها أنت وتضحي من أجله ويصادف أن هذا الشخص أمها وليس رجلاً، الإنسان لا يختار من يحب أليس كذلك؟**

**أعتقد أننا لابدّ أن نوسع نظرتنا إلى الحب كثيراً لنفهم (هنا) وأعتقد اليوم أنّي فهمت.**

**لذلك أنصحك نصيحة جديدة؛ الحب ليس مطلباً ولا هدفاً لكي يحقق بالعمل، إنّه مشاعر، أخذ وعطاء، يحس ولا يلمس، أنت على حق، استمر في حبها والتضحية برغباتك، وإن كان لك نصيب ستحبّك يوماً.**

**توفيق هل ما زلت معي.**

**_ ردّ بصوت أجش: نعم، أنا معك وأشكرك على اتصالك فقد ساعدتني كثيراً.**

# المشهد السابع

**في نهاية هذا الأسبوع وعندما ذهبوا إلى النادي، جلس توفيق مع هدى لمشاهدة (هنا) وهي تلعب مع صديقة لها مباراة للتنس على الرغم من أن توفيق شاهدها أكثر من مرة تلعب التنس في النادي منذ اشتراكها إلا أن هناك شيئاً تغيّر هذه المرة.**

**إنّه إحساس توفيق، فقد جلس على طرف الكرسي بأعصاب مشدودة وأخذ ينتفض مع كل ضربة إرسال ومع كل كرة بعيدة تحاول النيل منها، و(هنا) المتفانية في اللعب لا تترك كرة تفلت منها إلا مكرهة، أليست هذه (هنا) وشيمها، مثابرة عنيدة.**

**لاحظت هدى توتره واضطرابه فأخذت تربت على ظهره وتقول: لا تقلق عليها إنّها محترفة لعب فهي تلعب منذ كانت في السادسة، لكنّ توفيق لا يستطيع الهدوء والاطمئنان لقد أصابه شيء من لحظة أن أفاق من ذلك الكابوس، لقد أصابه الخوف في صميم القلب ولم يعد يسيطر على أفكاره، ماذا لو حدث مكروه لـ(هنا) ماذا يفعل؟**

**عندما انتهت المباراة ذهب إلى (هنا) ومشى معها وهي في طريقها لتغيير ملابس اللعب:**

**_(هنا) لماذا تلعبين هذه اللعبة العنيفة؟**

**_تعجّبت (هنا) منه: التنس لعبة عنيفة! ماذا عن المصارعة والملاكمة؟**

**_ نعم، إنّها عنيفة فيها قوة وحركة سريعة، وربما أصابتك الكرة في أيّ لحظة، أعلم أنّك محترفة وتلعبينها منذ الصغر، ولكن ربما تلعبين مع أحد غير متمكن فيصيبك بالكرة تخيّلي ماذا يحدث عندها لهدى سوف تتوتر وهذا لا يناسب صحتها.**

**أطرقت (هنا) ووقفت عن المشي وفكّرت لدقائق:**

**_عندك حق لن ألعب هذه اللعبة بعد اليوم، أشكرك على تنبيهي.**

**عند عودتهم إلى المنزل انتهزت هدى انشغال (هنا) بالاستحمام، وذهبت إلى توفيق في غرفة المكتب لتتحدث معه وتساءلت في قلق:**

**_ لقد كنت قلقاً على غير العادة على (هنا) فهل هناك شيءٌ لا أعرفه؟ هل تداري عنّي شيئاً؟**

**_ لا شيء (هنا) بخير ولكنّي أحبّها وأخاف عليها ليس إلا.**

**_ حقاً، أأنت لا تداري شيئاً عنّي خوفاً على صحتي؟**

**_ابتسم توفيق مستنكراً: لا، لماذا تظنين ذلك.**

**_ لا أعرف، أشعر بأنّ هناك شيئاً تغيّر ولا أعرف ما هو.**

**_ تنهّد توفيق وقال: أصبحت أحبّها أكثر.**

**_ أطرقت هدى: أعرف كم تعاني مع ابنتي، وأعلم أنّها لا تحسن معاملتك على الإطلاق.**

**وهذا خطئي أنا، أنا من ربيتها لتصبح هكذا.**

**_ قاطعها توفيق: لا ليس خطؤك ولا خطئي ولا خطؤها، إنّه خطأ الظروف التي وُضعنا كلنا فيها، فجعلت (هنا) تشعر بالخوف عليك وترتعب من فكرة فقدانك وعدم رؤيتك، وجعلتني (وسكت ثم استدرك) أنا أتفهم خوف (هنا) عليك وتعلقها الشديد بك فهي تحبك أكثر من نفسها وهذا ليس بيدك ولا بيدها، لو يستطيع الإنسان أن يحدد من يحب وكيف يحبه والى أيّ درجة لما تعذب الكثير والكثير (وسكت قليلاً وتنهّد ثمّ قال: ومن لا يحبّه أيضاً، أحياناً يفعل الإنسان كلّ شيء لإنسان آخر فقط لكي يحبّه ولكن لا يحصل على محبته أبداً، شيء غريب (وابتسم متهكماً بحزن) أليس كذلك؟**

**_ ردّت هدى: توفيق لا تفقد الأمل، كلّ شيء ممكن وأنت تعرف أن الصبر يحرك الجبال، اصبر وانتظر وستنال ما تتمنى بإذن الله.**

**_ ليس أمامي إلا الصبر، ولا تعتقدي بأنّي حزين، بل أنا سعيد وراضٍ فمجرد رؤيتها أمامي يسعدني، صدقيني.**

**_ ابتسمت له هدى وحرّكت رأسها بالموافقة،**

**ذهب توفيق إلى غرفة (هنا) مساء لكي يضعها في الفراش ويقبلها كالعادة ويتمنى لها أحلاماً سعيدة فوجدها تجلس على الأرض وأمامها كتب وأوراق وباب الشرفة مفتوح وجو الغرفة بارد، استاء من شدة البرودة**

**عليها فذهب إلى باب الشرفة ليغلقه وهو يسأل:**

**_لماذا تجلسين في هذا البرد؟**

**_اتركه، أنا لا أريد أن أنام، عندي الكثير من المذاكرة، عندي غداً امتحان، وإذا شعرت بالدفء سأنام.**

**_ولكنّك لو بقيت هكذا في البرد ستمرضين ما الفائدة عندها؟! أنا سأجلس معك حتى لا تنامين.**

**_ولكن عندك عمل في الصباح، لو تأخرت في النوم ستشعر بالإرهاق.**

**_ليس هناك مشكلة لن أذهب وسآخذ إجازة (وابتسم لها فابتسمت له) أولاً لابدّ أن تنهضي عن الأرض وتجلسي على المكتب**

**فأخذت تجمع الأوراق وساعدها فلمس يدها فوجدها باردة :**

**_إن يدك باردة كالثلج (وأمسك يديها في يده بعد أن وضعت الأوراق فوق المكتب وارتعشت من حرارة يده على يديها، فقربها إليه وضمّها محاولاً تدفئتها)**

**_إنك تؤذين نفسك هكذا يا (هنا)، لا تفعلي ذلك.**

**شعرت (هنا) بالدفء بين أحضانه فوضعت رأسها على صدره، وانكمشت بين ذراعيه تلتمس الدفء فاحتواها وهو يحرّك كفّ يده على ظهرها ليمنحها المزيد من حرارة جسده، وبعد لحظات شعر بدفقة اشتهاء تنتفض في صدره وكاد أن يذعن لها، ولكنّه تراجع عندما قفزت ذكرى الكابوس أمام عينيه فتركها قائلاً:**

**_سأذهب وأحضر لك شراباً ساخناً يساعدك على المذاكرة، اجلسي أكملي عملك حتى أعود.**

**جلست (هنا) في هدوء وهي لا تعي ما يعتمل داخل جسده الملتهب، وعندما عاد وجدها منهمكة في القراءة فوضع كوب الشاي أمامها على المكتب وسحب كرسي المرآة وجلس جوارها صامتاً، وبعد قليل أحست بوجوده وابتسمت وشربت من الكوب، وظلّ جوارها حتى انتهت الأوراق التي تقرأها فحثّها على النوم والراحة فوافقت:**

**_نعم يكفي ذلك لقد أنهيت المهم، أعتقد أنّي سأنال امتياز في هذه المادة، (قالتها وهي تدخل الفراش وتتمدد)**

**_قال أرجو أن تنالي كلّ ما تحبين.**

**ابتسمت له وهو يغطيها، وعندما قبّل جبينها رفعت رأسها وقبّلت خده_أشكرك إنّك غاية في اللطف يا توفيق لقد ساعدني وجودك كثيراً.**

**نظر إلى وجهها الباسم برضا وطبع قبلة أخرى على جبينها بثّ فيها إحساسه كلّه بالمحبّة ثمّ تركها وذهب.**

**وقال وهو يغلق باب غرفته عليه ويتأوه: ربما استطاعت الشمس بدفئها أن تنتزع ما لم تأخذه الرياح.**

**_واستيقظ سعيداً متفائلاً باقتراب المنى.**

**ولكن هيهات هيهات، ضاع كلّ شيء هباء عندما لم تستطع هدى النزول للإفطار وشعرت بالإعياء الشديد وبالرغم من اهتمام توفيق الشديد بإحضار أفضل وأشهر الأطباء وعمل كل اللازم إلا أنّ (هنا) ظلت تنظر إليه بعين الملامة، وعندما أخبرهم الطبيب بأنّها تعاني بسبب مرضها القديم وأنها لابدّ أن تظل ملازمة للفراش ولا تتحرك إلا حركة بسيطة داخل الغرفة ولا تتعرض لتيارات الهواء الباردة،**

**نظرت (هنا) إلى توفيق نظرة كره وحقد، وبعد انصراف الطبيب، نقلت كل أغراضها إلى غرفة هدى وظلت طوال الوقت معها ولم تذهب لكليّتها، فحاول أن يلومها فصدمته بقولها:**

**_أنت السبب في حالة أمي لو لم تقم بحبسها في زنزانة منفردة في البرد والرطوبة لما أصابها المرض أنت المذنب ولن أسامحك أبداً.**

**وانعزلت عنه تماماً حتى بعد أن تحسنت حالة هدى نسبياً، وتوقفت عن تناول الطعام معه والحديث كذلك، وشعر توفيق بالذنب فذهب إلى الطبيب وظلّ يستفهم منه عن حالة هدى بالتفصيل.**

**_ أرجو منك مصارحتي بالحقيقة ولا تداري أيّ شيء عني: ما هو وضع هدى الصحي؟**

**جاوبه الطبيب: الحقيقة إن وضعها الآن حرج نوعاً ما لأنّ قلبها مازال يعاني من آثار الالتهاب، فعلى الرغم من استقرار حالتها النسبي إلا أنها مازالت عرضة لأيّ حدث مفاجئ.**

**_ ماذا تقصد ؟!**

**_تنهّد الطبيب،دعني أشرح لك الحالة:**

**ينتج عادة التهاب عضل القلب من عدوى فيروسية تصيب المريض وتؤثر على عضلة القلب بالالتهاب، أحياناً بسبب مناعة الجسم نفسها هي ما تسبب المرض.**

**_قاطعة توفيق: وما هو الفيروس الذي سبب لها ذلك ومتى أصيبت به؟**

**_ أنا لا أستطيع أن أحدد ما هو الفيروس المسبب الآن فما تعاني منه هو آثاره الجانبية، آثار الفيروس، وليس الفيروس ذاته.**

**أمّا متى أصيبت به؟ هذا أيضاً لا أستطيع أن أحدده ربما من شهور ربما من أكثر لا أعرف فهذا يعتمد على نوع الفيروس وحدة الإصابة ونوع العلاج الذي أخذته وحالة جسم المريض، عوامل كثيرة، تجعل الطب غير قادر على تحديد ميعاد الإصابة،**

**_كل ما أريد أن أعرفه هل أصيبت به داخل السجن، (تساءل توفيق بحنق)**

**_تنهّد الطبيب: أعرف أنك تعاني بسبب اتهامات زوجتك، فقد تحدثت أمامي بذلك وأكدت لها ما أؤكده لك.**

**ولكن صدقني لا أستطيع أن أجزم بشيء.**

**_ فقط طمئني هل تعتقد أن الحبس الانفرادي هو السبب في مرضها. (تساءل بأسلوب يشبه التوسل)**

**_ يا أستاذ توفيق إنّ المرض قدر، وليس له سبب محدد، فهناك مرضى بهذا النوع من جميع الأعمار والفئات، حتى في أمريكا وبريطانيا وبين أشخاص أصحاء ويعيشون في مستوى معيشي مرتفع، أي في أحسن الأماكن وأفضل الظروف.**

**وهناك من يبرأ منه تماماً ولا يعاني من أيّ مضاعفات، وهناك من يعاني من المضاعفات بسرعة تصل إلى الموت السريع،**

**(تقلّص وجه توفيق)**

**فتابع الطبيب حديثه: وهناك من يعاني ببطء مثل حالة أم زوجتك، ربما تتحسن حالتها تماماً وتستقر.**

**ففكر توفيق وربما تسوء ولكنّه لم يقدر على نطقها بلسانه، فعبس وأطرق.**

**_ تابع الطبيب: ثمّ هل هناك سبب للموت؟، ألا يموت إلا المرضى؟ لا داعي لهذا القلق، وحاول أن تتفاءل.**

**بعد أن رجع من عند الطبيب تجنّب رؤية (هنا)، فلم يكن يعرف أنّ حالة هدى خطيرة هكذا، وكان يظنّ أنّ المحامي تلاعب في التقارير للحصول على العفو.**

**فتقوقع هو الآخر على نفسه، وأصبح يتابع أخبار صحّة هدى من الخادمة، ولم يحاول أن يدخل إلى غرفتها ولا أن يتحدث إلى (هنا).**

**وانقضى الشتاء البارد بقسوته وثقله وحلّ الربيع بدفئه وتقلبه وسمح الطبيب لهدى بالنزول إلى الحديقة والمشي فيها وبدأت تتحسن الأوضاع تدريجياً، وتهدأ (هنا) ويعاود توفيق الجلوس معهم ولكن (هنا) ظلت تعامله بحدة وجفاء.**

**تضايقت هدى من أسلوب (هنا) مع توفيق، فجلست تحدّثها عنه ربما لأوّل مرة منذ أن طالبها توفيق بعدم فعل ذلك.**

**_ (هنا) لماذا تعاملين زوجك بهذا الجفاء والعنف؟**

**_ لأنّه يستحق ذلك.**

**_لماذا يا حبيبتي ماذا فعل؟**

**_إنّه السبب في مرضك؟ لو لم يحبسك في الزنزانة الانفرادية لما مرضت؟**

**_ (هنا) توفيق ليس السبب في دخولي السجن، ومرضي كان من قبل أن تحدث المشاكل ويحبسني، ثم إن المرض قدر، وربما لولا حدوث المشاكل وحبسي لما ظهرت أعراض المرض ودخلت المشفى وحصلت على علاج في الوقت المناسب، يا حبيبتي لا تعامليه هكذا إنّه يحبك.**

**_ إنّه لا يعرف الحب، لقد حرمني من مقابلتك وهو يعلم كم أحبك ولا أقدر على بعادك.**

**_يا حبيبتي لقد كان غاضباً ونحن أخطأنا عندما فاجأناه هكذا كان لابدّ أن نخبره أولاً قبل أن نتصرف هكذا لابدّ أن نعترف بخطئنا.**

**_لقد كان يراني كلّ يوم وأنا أحضر إلى باب السجن وأطلب لقاءه فيرفض، وأبكي وأدور حول الأسوار وأنا أعلم أنّه كان يراني من النافذة، ومع ذلك لم يرأف بحالي ولم يشفق عليّ، كان يستطيع أن يقابلني، وكنت سأعتذر منه ولكنّه قاسي القلب لا يعرف ما هو الحب.**

**احتضنتها هدى بحنان بالغ وتمتمت: يا حبيبتي.**

**_ أعلم أنّك تألمتِ كثيراً ولكن لا تكوني أنت قاسية إلى هذه الدرجة، لقد أخطأ في حقنا نعم ولكنّه عاد إلى رشده سريعاً وأخرجني من السجن.**

**_ ولماذا لم يفعل ذلك من البداية؟ لماذا لم يساعدنا على خروجك من السجن؟ طالما أنّه يستطيع فعل ذلك.**

**_(هنا) هل تلومينه على عدم مساعدته لنا مبكراً ولا تشكرينه على مساعدته على الإطلاق،**

**لماذا تتصيدين له الأخطاء لماذا تخلقين له التهم وتدينينه بها.**

**_ لأنّها الحقيقة يا أمّي.**

**_لا تنسي أنّه سمح لنا بالزيارة تقريباً كلّ يوم ولمدة ساعة وأكثر في حين أنّ الزيارات الرسمية مرة أسبوعياً ولمدة نصف ساعة فقط، كما أنّ غضبه لم يطل، لقد حرمنا من بعض مجرد شهر، لو حسبتي عدد الأيام**

**والساعات التي كانت ستضيع علينا لو كنا نتقابل في المواعيد الرسمية فقط، لوجدتِ أنّه أعطانا ولم يحرمنا فلا تكوني ناكرةً للجميل ولا تنظري للأمور من جانب واحد فقط.**

**صمتت (هنا) وهي تفكر ثم قالت:**

**_أمي أنا لم أر الأمور هكذا أبداً، أنا أحبك كثيراً وأشعر أنّه المسؤول عن مرضك.**

**_حبيبتي إن المرض قدر لا أحد مسؤول عنه، ومن يعرف ربما لو مرضت قبل أن أدخل السجن ولم أدخل السجن على الإطلاق لكانت حالتي أسوأ الآن، فأنت تعرفين أنّي أكره الذهاب إلى الأطباء، ربما كنت تأخرت في العلاج، لا أحد يعرف أين الخير، عاملي زوجك بلطف فهو يحبّك، ولكي يطمئن قلبي عليك.**

**تحسّن أسلوب (هنا) مع توفيق بعد حديث هدى، فرجعت تأكل معه وتتحدث معه ولكن دائماً كان هناك حاجز ما بينهم.**

**لم تعاود (هنا) النوم في غرفتها بل ظلّت تنام مع هدى وطالبتها هدى بالعودة إلى غرفتها وهددتها بأن تعود إلى بيتها إذا لم تفعل ولكنّ تهديدها هذه المرة لم ينفع مع (هنا) فأخبرتها بهدوء أنا لن أتركك أبداً.**

**احتارت هدى مع (هنا) التي تنام جوارها وهي تحتضنها كمن يخشى على شيء غال عليه من أن يسرق منه.**

**تكلّمت مع توفيق الذي طلب منها أن تتركها على راحتها، وأنّه غير متضايق وكانت تعرف أنه يكذب، وأعاد تذكيرها، لا تعنفيها من أجلي لكيلا تكرهني.**

# المشهد الثامن

**وفي يوم تحدثت هدى إلى (هنا) قبل أن تنام وهي تحتضنها كالعادة:**

**_(هنا) إنك تظلمين زوجك هكذا لا يمكن أن يستمر الوضع على هذا المنوال.**

**_أمي لن أتركك أبداً لا في الليل ولا في النهار.**

**_لماذا إذاً وافقتِ وتزوجت توفيق طالما مشاعرك هكذا تجاهه.**

**_من أجلك أنت، تزوجته لخوفي من أن ينتقم منّي ويعيدك إلى السجن مرة أخرى.**

**صمتت هدى طويلاً ثم قالت:**

**لا يمكن أن نظلّ هُنا بعد اليوم، طالما هذه حقيقة مشاعرك تجاهه، لا يجوز أن نظلّ في بيته، يجب أن نعود إلى بيتنا، ولكن لكيلا نكرر أخطاءنا لابدّ أن تتحدثي معه غداً، عندما يعود من عمله أخبريه بمشاعرك تجاهه وأخبريه بأننا سنعود إلى منزلنا.**

**فرحت (هنا) جداً بقرار هدى فقبّلتها بعاطفة كبيرة:**

**_ هذا ما كنت أنتظره من فترة.**

**في مساء اليوم التالي طلبت (هنا) من التوفيق أن يتحدثا سوياً بينما صعدت هدى لتنام، وطلبت أن يتحدثا في غرفة المكتب وجلست أمامه على كرسي أمام المكتب وهو خلفه على كرسيه المعتاد، كأنّها تريد المكتب حاجزاً يحميها من أي ردة فعل عنيفة من توفيق، وبدأت كلامها:**

**_ توفيق لقد أسأت إليك كثيراً وعاملتك بعنف ولكن ذلك فوق إرادتي.**

**_قاطعها : لا تفكري في ذلك، أنا غير متضايق، أنا أقدر حالتك وتوتر أعصابك.**

**_ الوضع أكبر من ذلك أنا لا أستطيع أن أتغير معك (وسكتت وزفرت)**

**أنا لا أستطيع أن أعطيك أيّ شيء مما تتمناه. (وصمتت فترة أكبر واحتدت ملامحها)**

**أنا أريد أن ننفصل وأعود أنا وأمي إلى بيتنا.**

**هبّ واقفاً في فزع فوقفت (هنا) بدورها، دار حول المكتب وأمسك بكتفيها وبصوت مرتعش:**

**_ لماذا يا (هنا) أنا لم أشتكِ، هل أضايقك إلى هذه الدرجة، أخبريني ما يضايقك ولن أفعله؟**

**تكلمت (هنا) وصوتها يملؤه الشجن:**

**_ لا يا توفيق ليس هناك ما تستطيع فعله (ونظرت إلى الأرض وأكملت)**

**أنا أعلم أنّك تحمّلت كثيراً من أجلي وأنّي لم أكن زوجةً لك ولا للحظة واحدة، وأن ذلك صعب عليك، ولكن سامحني، لا أستطيع أن أتغيّر ولا أستطيع أن أستمر وأنا أعلم بأنّي أعذبك معي.**

**وضع جبينه فوق جبينها وبحزن عميق:(هنا) العذاب الحقيقي، هو ما تقولينه الآن، أنا لا أريد أيّ شيء أكثر مما تعطينني إيّاه، يكفيني أن أراك كل يوم يكفيني أن أسمع صوتك يكفيني أنّك أمامي وبخير، أرجوك ابقي جواري.**

**_ يكفي ما تحملته إلى الآن يا توفيق اتركني أذهب لأرتاح وترتاح أنت أيضاً.**

**_أستطيع أن أتحمّل أيّ شيء إلا بعادك عنّي.**

**_ابتسمت (هنا) وضغطت بجبينها على جبينه:**

**_ هذا هو الحبّ يا توفيق أنت الآن تدرك إحساسي بأمّي.**

**وقبلته من وجنتيه بمحبة لأول مرة، فاحتضنها بشوق وحسرة والدموع تتساقط من عينيه، وبعد فترة ابتعدت عنه قليلاً ونظرت إلى وجهه ومسحت الدموع بيديها، ثم تركته وخرجت فلحقها على أول درجة من السلالم:**

**_ لماذا تعودين؟ نظل كما نحن الآن، ابقي معي بالبيت وظلي مع أمّك كما شئت.**

**_ لم يعد ينفع ذلك.**

**_ لماذا؟**

**اقتربت وقبلته على شفتيه بنعومة فبادلها القبلة بشغف واحتضنها بعنف ثم ابتعدت عنه ونظرت إليه وقالت:**

**لذلك.**

**_وتابعت: لم يعد ينفع، فأنا لم أعد أكرهك (وهي تتحرك صعوداً على السلم)**

**_بينما وقف توفيق مكانه وانفعل ورفع صوته: لا أفهم!**

**قالت وهي على آخر درجة في الأعلى: في البداية كنت أعذبك وأنا راضية، أما الآن سأعذب ضميري معك،**

**تصبح على خير.**

**وذهبت إلى غرفة والدتها فوجدتها مازالت مستيقظة في الفراش فسألتها:**

**_هل أخبرتِه؟**

**_نعم.**

**_ووافق.**

**_نعم، من الغد سنعود إلى بيتنا، وتمددت (هنا) جوار أمها واحتضنتها.**

**ظلت هدى صامتة ولم تعقب.**

**وفي الصباح لم يذهب توفيق إلى عمله وانتظرهم ليحاول إقناعهم بالبقاء، واستيقظت (هنا) قبل هدى وجهزت بعض الأشياء استعداداً للرحيل ثم ذهبت لتوقظ هدى كيلا تتأخر عن ميعاد الدواء ولكن هدى لم تستيقظ صرخت (هنا) فهرع توفيق إليها واتصل بأقرب طبيب لهم وحضر سريعاً و(هنا) تجلس أمام أمّها وتناديها**

**أمي أجيبيني، وأعلن الطبيب وفاة هدى فصرخت (هنا) وأخذت تهز هدى بقوة وتطالبها بالنهوض:**

**_أمّي لا تفعلي ذلك بي استيقظي لا تتركيني لا أستطيع أن أعيش بدونك لا تتركيني، حاول الطبيب أن يجتذبها بعيداً فلم يفلح ،طالب توفيق بالتدخل، كان يقف ووجهه غارقاً بالدموع فاقترب بصعوبة وأمسك كتف (هنا) وقال:**

**_لا تفعلي ذلك يا (هنا) اتركيها.**

**فاستدارت إليه وصرخت في وجهه والكراهية تطلّ من عينيها:**

**_أنت السبب أنت من قتلها أنا أكرهك أكرهك وأتمنى موتك.**

**تراجع توفيق في ذهول وأخذ يرتعد، ودخلت الخادمة ومعها السائق على صوت الصراخ، فطلب منهم الطبيب أن يبعدوها عن هدى معه، فتكاثروا عليها وهي تتمسك بجسد أمها وتبكي وتنتحب حتى غابت عن الوعي فحملوها بعيداً، وتوفيق يشاهد كل شيء وهو مصعوق متجمد في مكانه، أعطاها الطبيب حقنة منومة لكيلا تستيقظ أثناء إجراءات دفن أمّها، فلم تحضر شيئاً.**

**واستيقظت في اليوم التالي في غرفتها فذهبت لغرفة هدى تبحث عنها ثم غيّرت ملابسها وذهبت إلى منزلها القديم تبحث عنها هناك.**

**كان توفيق يجلس في غرفة مكتبه شبه مغيب عمّا حوله يستعيد شريط حياته وهو يبكي، عندما جاءته الخادمة تخبره أنّ (هنا) غادرت المنزل، فهرع إلى غرفتها ثم غرفة هدى ثم جلس على كرسي في الغرفة يفكر أين يمكن أن تكون الآن؟ فتوقّع ذهابها إلى بيتها فبحث عن مفاتيح البيت في حقيبة هدى وذهب خلفها.**

**عندما دخل الشقة تذكّر ما دار بينه وبين (هنا) في تلك الليلة تحرك بارتباك وحزن ودخل غرفة النوم ليتذكر أيضاً ما كان فيها بينهم، ورأى (هنا) تنام على جانبها وظهرها للباب وهي تحتضن صورة هدى والدموع تبلل الوسادة أسفل رأسها جلس جوارها وأخذ ينظر إليها لفترة ثم أخذ يربت على ظهرها ويحرك يده صعوداً وهبوطاً ويقول:**

**اصبري يا (هنا) إنّه قضاء الله، ثمّ شعر بشيء غريب فتوقفت يده وأدار (هنا) إليه ووضع رأسه على**

**صدرها ثم خده على أنفها وصرخ : ..... لا،**

**وضمّها لصدره وأخذ يبكي بحرقه ويتأوّه.**

# المشهد الأخير

**عاد إلى منزله بعد دفن (هنا) مع أمّها، حتى الموت رأف بها ولم يفرقها عن أمّها فجمعهم القبر.**
**دخل غرفته وارتمى على الفراش فشعر بورقة أسفل رأسه على الوسادة فأمسكها وقرأها.**

**توفيق كل شيء أصبح واضحاً الآن. ربّما لم أحبك أبداً ولكنّي لم أعد أكرهك،**
**أسامحك عن أخطائك، فسامحني على أخطائي،**
**إنّ كلّ شيء بقدر، حبّك لي، حبّي لأمّي.**
**أعلم أنّك تحبني كثيراً لذلك ستفهمني بالتأكيد،**
**اتركني بسلام واسعد من أجلي،**
**فأنا مع من أُحبّ.**

***هنا***

تمّت